بظهور دولة الأشوريين القوية فى الشرق ودولة نباتا القوية فى الجنوب جعلتا مصر أرضاً للحرب وميداناً للقتال بين قوتين شابتين حين دب فيها الفساد فأمراءها لايستطيعون أن يقفوا صراحة مع أشور أو مع مملكة نباتا ولايستطيعون أن يعادوا هذه ولاتلك والحرب يوم تنصر لهذا ومرة لعدوه مما أضعف الوضع فيها وإضعف اعداد حكام يساندون أحد القوتين لتخفيف نصر كامل حتى اقتنع الاثيوبيين بطيبة ثم جاء بسماتيك الاول القاضى على الوجة البحرى واستعان باليونانيين على بناء دولته وعلومها وحفظ ود الاثيوبيين بزواجه بأميرة من بنات الاسرة المالكة الاثيوبية فاسترجع طيبة وضم مصر الجنوبية وعادت دولة إثيوبية إلى قواعدها الاولى حتى ظهر قمبيز ملك فارس وأدخل مصر تحت حكمه عام ٥٢٧ ق . م وبذلك دخلت مصر عهداً جديداً فى خضوعها لمظاهر الحضارة الفارسية ثم بعد ذلك لمظاهر الحضارة اليونانية والرومانية . . .

اما دولة اثيوبيا فقد أصبحت بعيدة عن سهام الفرس كما إنها اقتنعت بحدودها ورمت نظرها ليبسط نفوذها للجنوب حيث كانت تمتد جنوب النيل الأزرق قبائل الشلك والعناصر السودانيين التى كانت تسكن أرض الجزيرة الفنية والنيل الأزرق .

دولة نبـــاتا

بعد إنتهاء حكم الأثيوبيين فى الوجة البحرى والقبلى وجلاء الآشوريين عنها اعتلى عرش الوجه البحرى الاسرة السادس والعشرين الصاوية . وفى عهد الملك بسماتيك الاول الذى استعان باليونانيين على تنظيم البلاد وتسكينهم والاحتفاء بعلمائهم إستطاع بمعاونة اليونانيين من طرد الاثيوبيين من طيبة وجنوب مصر وبذلك إنتهى أثر السيطرة الاثيوبية على مصر وكان ذلك فى عام ٦٥٠ ق . م وبعد أن إستتب الأمر لبسماتيك ، بدأ إعادة الحياة لمصر وقرب اليونانيين وجندهم وجعل منهم قواده واكرمهم إلى حد جعل جنود المصريين يغضبون عليه ويقصدون إثيوبيا حيث رحب بهم ملك نباتا وكرمهم وإستفاد بهم فى تنظيم جيشه وفتوحاته لداخل السودان .

ورغم قلة المصادر حتى الآن عن دولة طيبه بعد القرن السادس الميلادى الا أنه يمكن أن نتصور حال البلاد بعد أن إكتفت دولة نباتا بالانتصارات الداخليه وإمتداد فتوحاتها إلى الداخل وانتشار العمارة والفنون والاستفادة من الجنود المصريين الذى تركوا خدمة بسماتيك الاول الذى بدأ فى ادخال علوم اليونان وفنونهم ليمهد بذلك لدخول الحضارة اليونانية محل الحضاره الفرعونية :

نرى السودان يتوسع فى نشر هذه الحضاره الفرعونية جنوبا وتخضع له كل الممالك التابعة على النيل الازرق حتى سنار وتظهر عاصمة ثانية عند مروى القديمة تاحية كبوشية لتتولى اداره البلاد وتتولى نباتا العاصمة ادارة الجزء الشمالى .

كان هذا فى هذا العصر الذى بلغت فيه الحضارة الفرعونية عظمتها ورقيها

مصر وهم يعبدون المعبودات المصرية كحوريس وبس وايزيس كما ان بعض الالهة المختلطة وجدت مرسومة بكثرة على احناء السروج ولوحات الفضة .

وقد أمدتنا هذه المقابر بكمية وافرة من الاثار مختلفة الانواع وقد عرض منها مجموعة كبيرة كاملة التمثيل ولعل أجدر ما بالملاحظة ذلك الصندوق المزخرف بلوحات عاجية عليها صور لاتكاد تبارى فى دقة وتهذيب — وتلك التيجان الفضيه المرصعة باحجار حسنة الصنع ثم الطبق الفضى ذا النقوش البارزة واللقم الفضية الخاصة بالالجمة ووقايات أيدى الرماة ثم الاثار المخروطية الشكل وهى أن كانت ذات صلة بالرماية إلا أن طريقة استعمالها مازالت غير معروفة وماهو جدير بالذكر أن بعض القطع البرونزية عليها شارات مسيحية وهى أما أن تكون قد سلبت أو أشتريت من العشائر المسيحية أو الكنائس ويلاحظ أن من بين المنسوجات عينات صنعت من الحرير .

ويرى على كثير من الجثث أثار واضحة لاصابات حصلت فى ميدان القتال ويشبه أشراف بلانه وقسطل الزنوج إلى حد كبير ون إن لم يكونوا من الزنوج فعلا — أما خدمهم وعبيدهم فكانوا من أجناس نوبية مختلطة ، وخلاصة الاحتمالات أن هذه الجهات كانت لجنس من النهابين الميالين للقتال يعرفون بالبليميين الذين كانوا حتى القرن الثالث بعد الميلاد لايزالون تحت سيطرة مروى .

وقد هاجم البليميون الحدود الرومانية أول مرة عند أسوان عام ٢٥٠ م ثم مرة ثانية ٢٦١ م ثم عادوا عام ٢٦٨ م فاجتاحوا مصر حتى وصلوا إلى كيتوس فقط وبتلنا بيس .

وقد دعا الامبراطور دقلد يانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) بعض قبائل النوبة (النوبادیون) الذين كانوا يقطنون الصحراء الغربية ليستوطنوا فيها بين بلاد

البليميين وأملاك روما وبالرغم من هذه الحيطة فان البليميين احتاجوا الواحة الخارجة حتى عام ٤٢٩م ويظهران طرد البليميين النهائى حدث فى أواسط القرن السادس عندما اجتاح سلكوا ملك النوبادين الذى كانوا قد اعتنقوا المسيحية إذ ذاك بلاد البليميين ومن بعد ذلك لم يذكر التاريخ عنهم شيئا .

وقد قام مستر امرى بالنشر عن هذه المقابر ووصف أقوام البليميين فى مؤلفة To. Entery The Royal Tomps of Bauana and Bustol

(وهو الكتاب المطبوع بالمطبعة الأميرية بدلان (بعثة حفائر بلاد النوبة ٢٩ — ٣٤) .

٢٩) أكواب وجرار وقوارير من الفخار بعضها ملون وبعضها محلى بزخارف مسارح وأباريق وأوان واوعية للطرح وحوامل — ويسهل ملاحظة مافى الكثير منها من تأثير الفن المصرى القديم على الفن اليونانى والرومانى .

تمثال من البرونز يشبه كوبين . أغريقى الفن — تمثال من البرونز يمثل إليه يحمل شمعتان.

١٥ — جلب لحفظ السهام وبقايا حقيبة للحلى وأدوات للزينة ومعها قفلها وقطع ملابس ونعال وأجزاء سن لجام وكلها من الجلد — ثم قطع من سلال من القش وخرز منضود فى خيوطة الاصلية ونموذج من الحجر الرملى لمائدة قربان من الطراز المروى .

١٦ — نماذج من الاقمشة المختلفة والجبال التى كانت تستعمل فى اطقم الخيل . ملاحظة النسيج ممتاز ودقيق . . . وسميك . . وبعض أنواع الشمل . . من صوف الماعز والضأن وخلافه كانت تستعمل لكساء الخيول . . .

والانسان . الاقمشة تشبه لحد كبير نوع الاقمشة هـــذة الايام رغم جوده صنع القديم .

١ ــ الفخار كبير . . تستعمل للماء وحفظ الاشياء . . فى شكل برام وحلل وزجاجة . . ومخمسه . . يوجد من نفس النوع مصنوع من النحاس والبرونز من والفضة .

١ ــ أدوات الزينة موجودة . . وقد عثر معها على أصباغ الوجه .

ودلاية (مقبض) من الحديد من الطراز الرومانى أمشاط من العاج الملون على زهرة . . دقيقة الإسنان . . ومكحلة من الخشب على هيئة الالهة . (رع) وجه قريب من وجه البومة .

لوحة للعب مطعمة بالعاج وزواياها ملبسة بالفضة وجدت فى الركام فى السكوم الذى يعلو المقبرة وكان باسفله حقيبة من الجلد بها قطع اللعب والزهر .

المعادن المختلفة التى استغلت فى صناعة هذه الأدوات تكشف لنا إمكانيات تلك الحضارة ومقدرة الأنسان جنوب نهر عطبره لاستخراج المعادن وتوظيفها فى حاجيات الحياة اليومية .

شواهد شكلها

موائد وقرابين

من العهد المروى

هـــذه الموائد كانت توضع عند مدخل المقابر وكلها تقريبا مستطيلة الشكل وبأحد جوانبها بروز به قناة تنتصب منها السوائل أما فى الوسط فيغلب أن تكون عليها رسوم أوان خبز منقوشة نقشا بارزا وكذا بعض مناظر من الاساطير المصرية أما الكتابة التى حولها فتبدأ دائما بدعاء موجه إلى أحد الالهة إزيس أو يا أوزريس ثم بعد ذلك أسم المتوفى وأوصافه وتكتب بعبارة للترحم عليه . ويذكر فى أوصافه أنه كان طيب كريم الأصل . . . الخ . . ويلحق غالبا باسماء والدية .

ملحوظـــة :

وربما يمزيد من الاكتشافات التى تجرى فى منطقة مروى القديمة جنوب نهر عطبره نستطيع أن نعثر على المزيد من الوثائق والآثار التى يمكن أن تعطينا صورة كاملة عن تلك الحضارة التى قامت جنوب نهر عطبره وتكشف لنا عن حدودها جنوبا ومدى سيطرتها وعلاقتها بالقبائل التى سكنت أرض الجزيرة وقبائل الشلك خاصة والمجموعات الأخرى التى سكنت السهول

حضارة السودان الفرعونية

رغم قلة المعلومات لدينا عن حالة الحضارة قبل دخول السودان تحت تأثير الحضارة الفرعونية فى عصر الأسرة السادسة الاسوانية (٢٦٠٢ — ٣٣٩٢) ق.م. بانتقال السلطة فى الوجه البحرى إلى الوجه القبلى إلا أننا بتطور حالة المجتمع على أرض النيل وما وصل الينا من رقى يمكن لنا أن نقيس حالة المجتمع جنوب مصر من جراء تشابه الظروف الطبيعية والاجتماعية .

فالمجتمع هنا زراعى كما فى الشمال . . مجتمع مستقر تطور من المجموعات الصغيرة إلى الممالك الكبيرة . . .

فقد عرف سكان السودان الحكم النظامى شبيه بالنظام الملكى فى مصر إلا أن . . تدخل كهنة الدين الملكى فى مصر جعل إمكانيات وطاقة شعب مصر فى يد الكهنة والملك حتى تطور ذلك النظام باستغلاله لطاقة شعب مصر إلى أقصى إمكانيات الاستغلال ، حتى تطور ذلك المجتمع من الوجه الحضارى فى استغلال إمكانيات شعب مصر لبناء السفن والعمارة وخضوع هذا الشعب لسلطة ورهبة الكهنة الأمر الذى لم يعرف فى السودان حيث لم يصل الدين إلى ما وصل إليه كهنة آمون .

باستقلال الناس فى السودان عن سلطة الكهنة وبذلك وتحرر إمكانياتهم من سيطرة الملك ، جعل المجتمع السودانى على النيل جنوب الحضارة المصرية مجتمع ممالك ، أقل ثروة ، وأقل سيطرة على أفكار الناس حيث كان يعتمد النظام المصرى على السيطرة الروحية ، وتقديس الكهنة ، ثم الملك مما خلق طبقة معينة ، منفردة بالحكم لم يحد من قوتها إلا بتوسع مصر ، وتوسع أعوانها بخلق جيش عظيم هو جزء من السلطة حتى وصل الشعب فى بعض الظروف إلى حالة التجنيد

واجبارى ، وبذلك استطاع أن ينتقل من حالة العبودية والطاعة والاستغلال إلى مستوى الجندى المحترم المنطوى تحت نفوذ القصر والمعبد .

ولبعد المجتمع السودانى من هذا التركيب الاجتماعى ، وتحالف القصر والمعبد عاش النظام الأول للملكية فى السودان باحترام جميع الافرادفى التجارة والملكية والعبادة حتى ظهرت الحضارة النوبية جنوب النوبة فى عهد الاسرة السادسة السودانية ، ومحاولتها اخضاع أراضى النوبة وضمها اليها ، أو الاستيلاء على خيراتها وعمالها ، لبناء الحضارة الفرعونية الجديدة ، التى كانت فى حاجه إلى كل يد عاملة ، وإلى كل امكانيات مادية لتسند هذا العمل الذى خلده النيل .

فقد غار حكام الوجه القبلى على أرض النوبة ، وزنوج السودان وبيدوا أنهم توغلوا بعيدا عن أرض النوبة وكرمه لحاجتهم للعمال وخيرات النيل بعد انشقاق الدولة إلى قسمين ومحاولة ملكة الوجة القبلى (أسوان) أن بسط نفوذها على كل الممالك التى حواليها وإخضاعها لسيطرتها وليس هنالك مجال لبسط نفوذهم غير جنوب النيل ولذلك كان طبيعيا أن يمدون نفوذهم إلى الجنوب ويستولوا ويخضعوا الممالك السودانية التى كانت قائمة على أرض النيل .

ولنا أن نتساءل هل كان هذا الاخضاع إدارى فقط ،أم أنه امتد إلى اخضاع حضارى بأدخال العادات والعبادات الفرعونية على الاراضى الجديدة . . . . وهذا كان يتوقف على نوع السلطة الادارية التى أقامها حكام أسوان على جنوب النيل . .

ونحن لانعرف على وجه التحديد هل أنابوا عنهم فى هذه المناطق الحكام المحليين أم فرضوا على تلك الممالك حكاماً مصريين ، عن طريقهم يمكن أن تدخل مظاهر الحضارة الفرعونية مما لاشك فيه فى الحالتين أن سكان السودان

عرفوا بعض العادات والتقاليد الفرعونية من جراء حملات الجيوش المصرية وبقاءها مدة طويلة لأخضاع جزء كبير من أرض السودان كانت فى أثناءه تؤدى الشعائر والعادات المصرية كما إن إستجلاب عدد كبير من السكان المحليين إلى مصر ليعملوا فى الجنديه أو كعبيد والأستفادة منهم فى أوجة النشاط العمرانى المختلف قد شيع هؤلاء بالتقاليد والعادات والديانات الفرعونية التى بدورهم كانوا سفراء فى نقلها إلى الجنوب بما فى ذلك العلوم والفنون والعبادات والتقاليد .

أننا يجب أن ننظر إلى هذه الفترة من التاريخ بفترة مليئة بالحركة والنشاط والتوسع حتى يمكن لنا أن نتصور حالة المجتمع القديم.

وقد خضعت أرض النوبة مرة أخرى فى عصر الأسرة الثانية عشر الطيبية (٢٩٦٣ - ٢٧٥٠) ق م ويبدو فى هذا العصر ظهرت دولة اثيوبيا عند الشلال الرابع ، ويبدو أن مملكة أثيوبيا كانت قائمة منذ قديم الزمن ، ألا أن سيطرة الأسرة السادسة لم تصل إليها ... ويبدو أن هذه المملكة الاثيوبية كانت تبسط نفوذها على الاراضى جنوب أبى حمد وكانت غنية وكانت ذات صلات تجارية فى حاصلات السودان مع مصر مما شيعها بأثار الحضارة الفرعونية ، ومصنوعاتها حتى جاء زمن كانت فيه هذه المملكة وريثة للحضارة الفرعونية لما لها من إستعداد وتقبل وما لها من امكانيات ونفوذ على أراضى شاسعة .

وقد ظلت أرض النوبة متمردة على مر الزمن على النفوذ الفرعونى ويعزى ذلك لارفض هذه الشعوب للعادات والحضارة الفرعونية ولكن لما كان يفرض عليها من ضرائب والتزامات من جانب تلك الدولة المتوسعة القوية وهذا يكشف لنا انفراد السلطات المحلية بالحكم وعدم توظيف حكام مصريين على هذه الشعوب مما جعل تمردها سهلا . . . ولكن امتداد الحدود المصرية حتى حلفـــا فى

عهد الاسرة السابعة عشر الطيبية (١٩٨٣ - ١٧٠٣) ق . م . . . . .

فقد وصلت الجيوش المصرية حتى المملكة الاثيوبية عند الشلال الرابع .. ومما يجعلنا نعتقد بقيام الدولة الأثيوبية فى زمن بعيد هو محاولة ممالك الوجه البحرى الفرعونية أن يصلوا إليها ويستولوا على خيراتها ... فزواج (اموزيس) ١٧٠٣ ق . م من إبنه ملك إثيوبيا يدلنا على إن هذه المملكة كانت قائمة وكان لها شأن عظيم كما إن هذا الزواج كان يعبر عن تشابه التقاليد الاثيوبيه والمصرية حتى سمح بزواج هذا الملك من تلك الاسرة المالكة عند الشلال الرابع وهذا يكشف لنا أيضا انتقال الديانات والعلوم والفنون الفرعونية لهذه المملكة فى عصر قديم .. وربما تكن هناك بعض الدماء المصريه فى هذه الأسرة وربما لاتكن ولكن هذه الدولة الأثيوبية كانت صديقة حميمة لدولة طيبة وعبادة أمون والحفاظ على عبادة الآلهة المصرية حتى كان عهد الاسرة الحادية والعشرين (١١١٠-٩٨٠ق م) وتوحدت دولة طيبة وأثيوبيا ومدت نفوذها حتى سنار والحبشة ناقلة مظاهر الحضارة الفرعونية إلى تلك المناطق .. وهذا يفسر لنا قوة شأن هذه المملكة التى لم تصل إلينا وثائق تكشف عن إخبار ملوكها وحضارتها إلا إنها كانت ذات علاقات طيبة بملوك طيبة :

من هذا الرد تكشف لنا الحقائق التاريخية أن دولة أثيوبيا كانت قائمة قبل ثلاثة ألف سنة قبل الميلاد ولكن أخبار هذه المملكة لم تصل الينا ونكاد لانعرف شيء عن حياتها الداخلية وحضارتها الا فى القرن الثامن قبل الميلاد بظهور ملوك عظام استقلوا ضعف الحالة فى مصر فبسطوا نفوذهم شمالا إلى فلسطين وبلاد فارس :

(٥٠٠٤ - ٣٠٦٤) ق : م (الاسرة الأولى إلى العاشرة):

(١) الاسرة الأولى حكمت ٢٥٣ عاماً (الاسره الطينية ٩ ملوك)

أول حكومة ملكية حكمت مصر بعد الكهنة .

أول ملوكها دينا : قليل نفوذ الكهنة .. أسس القوانين والشرائع ظهر فى عهده علم الجراحة والطب بواسطة الملك (تينا بن مينا) أشهر ملوك هذه الحقبة

الأسرة الثانية الطينية (٤٧٥١ - ٤٣٤٩) ق م

أول ملك : بعاو

خلفه كاكاو .. رفع عبادة العجل « أبيس » .

بينوتيرس : أول من سن القوانين وأباح للنساء تولى الملك

زعم أن الملك نائب الآلهة وابن الشمس .. ظهرت عبادة المصريين لملوكهم درجة تصل إلى الإلوهية .

الأسرة الثالثة المنفية ٤٣٤١ - ٤١٣٥ ق م (المنفية) نسبة إلى مدينة منف

أول ملوكها نخروفوس : حاربهم الليبيون

خلفه توزرتوس - كان عالما بالطب وكتب فيه وذهب بفن قطع الاحجار ونحتها حد الكمال

آخر ملوك هذه الاسرة سنفرو « أول فرعونى » وجدت له آثار .. ظهر فى عهد هذه الأسرة تمثال أبو الهول فى الجيزه وهو تمثال حيوان ضخم له جسم أسد ورأس انسان اشارة إلى القوة والعقل :

الاسرة الرابعة المنفية (٤١٣٥ - ٣٨٥٠) ق م

تحسنت أحوال الادارة والتنظيم فى عهد هذه الاسرة .. أوقفوا هجماتهم على عرب الصحراء الشرقية والليبيه وأهتموا بالاصلاح الداخلى .. توسعت المملكة شرقاً وأستولت على خيرات أراضى سينا

أعظم ملوك هذه الاسرة خوفو أو خيوبيس الذى بنى الهرم الاكبر فى الجيزة وسماه خوت .. ويقال أنه سخر المصريين فى بنائه ثلاثون عاما — كان يستخدم منهم كل ثلاثة أشهر حوالى ألف شخص

وتولى أيضاً فى عهد هذه الاسرة « خفرع » أو « اخفرن » . .

كان عهد هذه الاسرة قاسيا على الرعية فى تحقيق حلم لتشييد هذه المبانى الضخمة مما قاد لموت الكثيرين وغضب الشعب . . وبلغ الغضب الشعبى ضد هذه المملكة أن الجماهير بعد أن ضاقت بالتسخير أن الخوبعت جثتى هذين الملكين وحطموا تابوتيهما .

وجاء بعد ذلك منقرع بانى الهرم الاصغر المجاور الرمى «خوفو» و«خفرع» وقد سماه « حور » أى الأعلى وكان عادلا رحيما بالرعية . فأباح للناس التفرغ لشئونهم الخاصة بعد عهد السخرة التى عمت فى عهدى « خوفو » و « خفرع » ... وأرتقى الفن والنحت والعمارة فى عهد هذه الاسرة شأواً بعيدا .

الأسرة الخامسة المنفية (٣٨٥٠ - ٣٦٠٢) ق.م

أول ملوكها اسكاف .. كان محباً للعلم وعطوفاً على الرعية . سن لها القوانين وبعده « نفراركارع » ومن أشهر آثار هذه الحقبة الاثار التى وجدت فى مقبرة سقارة وقد بنى هذه المقبره « ن ، صبر الملك عنوسم سابع ملوك هذه الاسرة وقد اهتمت هذه الاسرة بالحياه الداخليه وقل نشاطها الخارجى مما قلل دخلها وانحط فى نهايتها الفن لانشغال الناس بأعمالهم وعودتهم لحياتهم الطبيعية بعد حياة التجنيد والتسخير .

الأسرة السادسة الاسوانيه (٢٦٠٢ — ٢٣٩٩) : ق م

ظهور النوبة فى التاريخ القديم :

ظهر إسم النوبة لاول مرة فى عهد هذه الأسرات وبذلك يمكن أن نؤرخ دخول أرض النوبة والسودان بخضوعها للآثار الفرعونية والعبادات والفنون من هذا التاريخ . . ولاشك أن هذا التدرج الذى قاد الأسر الفرعونية من الشمال إلى الجنوب جاء بعد صراع مرير وأخضاع لتلك المنطقة الجنوبية فقد إشتركت شعوب جنوب منطقة أسوان (النوبة) فى عمارة الأسرة الرابعة والخامسة واستخدم سكان تلك المناطق كعمال لبناء الاهرامات والمعابد لحاجة العمران للأيدى العاملة . ويبدو أن شعوب أرض سيناء وليبيا قد تمرسوا على القتال وأصبحوا فى حالة طيبة للدفاع عن أراضيهم . . . ولاشك أن تأثير الحضارة على شعوب شمال النيل والدلتا والتجارة بين شعوبهم قد أثمرت فى تنظيم الادارة فى جنوب النيل . ورغم أننا لم نتحصل على وثائق تثبت حالة الادارة فى أرض النوبة والسودان قبل هذا التاريخ إلا أن التدرج الطبيعى للحياة الاجتماعية المستقرة على النيل قد خلق نظاماً اداريا يكفل الأمن والنظام بين شعوب النيل جنوب أسوان . . فقد انتقلت تلك الشعوب من حياة الأفراد إلى المجموعات فى الممالك الصغيرة التى نشأت على النيل وسارت فى نظامها الادارى الملكى بخلاف ماكان فى شمال الوادى حيث لم تخضع هذه الشعوب للآلهة والكهنة مثل ما خضعت شعوب الدلتا ووسط مصر .

فى عهد الأسرة الاسوانيه انقسمت مصر إلى قسمين الدلتا يحكمها ملك من منف والصعيد ويحكمه أول ملك من الأسرة الأسوانية . . ويبدو إن مملكة الصعيد كانت أقوى من مملكة الدلتا للفتوحات الجديدة التى خطتها فى أراضى النوبه والسودان والخيرات الكثيرة التى جاءت إليها حتى تمكنت الأسرة

الأسوانية فى عهد « بيتى مريترع » ووحد المملكتين الدلتا وأسوان وجعل العاصمة أسوان وبذلك إنتقلت تلك الحضارة إلى الجنوب وانفتح بذلك السودان لمؤثرات الحضارة الفرعونية فى عهد هذه الأسرة وأكتشفت المعادن فى السودان فى هذه الفترة وجاء بعد « مريترع » الملك فيوبس » الذى حدثت فى عهده ثورات كثيرة منها تمرد النوبة والزنوج . . ويبدو أن هذا العهد توسع الملك فى الشمال بعيدا داخل أراضى السودان لذكر إسم « الزنوج » بجانب النوبه فى هذه الفترة . ثم خلفه « مريترع » الثانى ثم خلفته أخته « نيتوفريس » ذات الحسن والجمال كما قال « مانيثون » المؤرخ الاغريقى .

الأسرة السابعة إلى العاشرة (٣٣٩٩ - ٣٠٠٦٣) ق . م

حكمت هذه الفترة أسرتان من منف والأسرتان الأهناسيتان بعد إنقراض ـ الأسرة السادسة الأسوانية ويبدو أن تمرد الجنوب وإسترداده لسلطته إضعف إسرة اسوان مما جعل إسرة منف تعود للسلطة من جديد وتنقل العاصمة من أسوان إلى (إهناس) وفى هذه الفترة بعد أن خضع السودان والنوبة للمؤثرات الحضاريه الفرعونيه وتمكن من الأستقلال عنهـــا خضع لاشك للديانات المصرية والحضاره الفرعونية بعد إنفرضت عليه فى عهد الأسرة الاسوانيه .

الأسرة الحادية عشر الطيبيه (٣٠٦٤ ٢٩٦٣) ق م

يبدو اهتزاز الملك بين الأسرات السابقة وانتقال السلطة وإنشقاق الدولة وانتقالها لأسوان ثم إلى إهناس كان فى عهد وصلت فيه السلطة المصرية دورا من التدهور مما قاد إلى هذا التغير السريع والتنقل . . وإذا كان هذا التنقل

وهذا الانشقاق قد كان كارثه على الدولة المصرية لكنه كان له فضله على الجنوب فى دخوله تحت تأثير هذه الحضاره فى عهد الأسرة الاسوانيه التى نقلت الحضاره للجنوب والنوبه والسودان . . حتى بات السودان بعد إنتقال السلطة للشمال مرة أخرى ذات سيادة وحضارة ذات طابع فرعونى مستقلة كل الاستقلال ولايمكن أن يكون لتلك الحضارة التى انتقلت للسودان فى عهد الأسرة الاسوانيه من لرقى ماكان فى الدلتا ووسط مصر ولكنه كان بلاشك بدايه جديده فى الرقى والحضاره والتفكير الدينى ونظام الدولة .

ويمكن لنا أن نؤرخ تلك الفترة بفترة النهضة الأولى التى خضعت بعد إنتقال الأسرة من أسوان وإنعزال تلك الحضارة عن الشمال .

وبعد إنتقال الحكم فى الجنوب إلى الشمال مرة أخرى بدأت الحياة تدب فى الدولة المصريه مرة أخرى فى عهد الأسرة الطيبيه (نسبة إلى طيبه) وظهر فى عهد هذه الأسره « منتوحتب » الرابع الذى نزع الدلتا من ملوك أهناس ووحد مصر تحت سيطرته وعمر البلاد ووسع مملكته حتى سينا وفلسطين ثم جاء بعده ملوك لم يكن لهم شأن يذكر . أقصرت على يديهم اصلاحات هذا الملك .

الأسرة الثانية عشر الطيبيه (٢٩٦٣ — ٢٧٥٠) ق م

وفى عهد هذه الأسرة التى حكمت مائة وثلاثة عشر عاماً عادت لمصر مرة أخرى وحدتها وعادت طيبه مرة أخرى عاصمة الدولة الموحدة .

وبعد أن استتب النظام لهذه المملكة الطيبيه ووحدت السلطة الداخليه ورأت المستعمرات القديمة التى تمرد عليها فكرت فى اعادة أرض (النوبة وأثيوبيا)

مرة أخرى . وقد ظهر اسم اثيوبيا هنا لأول مرة وقد كان يقصد به جنوب النوبه . . فقد كانت النوبة وأثيوبيا وبهذه تطلق على الأرض جنوب مصر .

وقد خضع السودان مرة أخرى لسلطة هذه الدولة الطيبيه ويبدو هذه المرة أن جنود هذه المملكة قد ساروا داخل السودان وكان ذلك فى عهد الملك (امنحتب الأول) الذى عرف بالحكمة والحزم وحين حانت وفاته دعى ابنه وقال له هذه الوصية :

(يابنى لقد أصبحت حاكم الأقاليم الثلاثة) الوجه البحرى ـ القبلى ـ النوبة (وهذه أول مرة تصبح النوبة جزءا لايتجزأ من المملكة الفرعونية) وقال : (فأقتد بأحسن ما كان يفعله أسلافك وحافظ على نظام الرعيه ولاتكن فى معزل عنها ولا تعجب بنفسك ولا تقتصر على مصاحبة الغنى دون الفقير . . ولا تسرع بتقريب الوافد إليك فأن ضمائره خافيه عليك) .

وفى عهده استخرج الذهب من أرض النوبة وقام بغزوات عديده لها ورجع بالكثير من الغنائم والسبايا وأخضع كذلك الزنوج خلف أراضى النوبة .

ثم جاء بعده إبنه (أوسرتيس) ثم جاء بعدة امنحتب الثانى أو (سيزوستريس) الذى شاد حصونا وقلاعا فى وادى حلفا وقد وجد على بقايا هذه الحصون (هذا حد مصر الجنوبى وضع فى السنة الثامنه لحكم الملك (أوسرتس) .

الأسرة الثالثة عشر الطيبيه (٢٧٥٠ - ٢٥٦٦) ق . م :

وكذلك يبدو أن حدود مصر إمتدت ابعد من حلفا فى عهد المملكه وكذلك آثار هذه المملكة وغزواتها كانت تذهب بعيدا عن حلفا وربما كانت الرائض

تجبى من ملوك الممالك السودانيه جنوب حلفا وفى عهد هذه الأسرة توسعت فتوحات المملكة المصرية للجنوب حتى وصلت الشلال الرابع شرق كريمه . . . وربما خلف المصريون على هذه الاراضى الجديده التى اخضعوها بعض الامراء الوطنيين أو بعض المصريين ولكن هذا الامتداد الجديد للجنوب قد نقل الحضارة الفرعونية إلى داخل السودان ونقل معها الديانات والنظام الادارى - وربطت هذه الممالك بحركة الدولة المصرية التى كان عليها أن تحافظ على هذه الحدود .

وجد بمدينة بوهين بقايا مدينة قديمة بها معبدين وقلاع من الأسرة الثانية عشر . زارها شامبليول وروسينى ونقلوا آثارها إلى فلورنسا . أخذ تمثال أمون من قاعدته التى وجدها كابتن ليونز وارسل الى فلورنسا يرجع تاريخه إلى الاسرة الثانية عشر . وكان على أمراء هذه الممالك أن ينتهزوا فرصة أى ضعف فى الشمال ليعيدوا استقلالهم وكان أهالى السودان أكثر يقظة للبحث عن ضعف فى الدولة الطبيعيه وفى نفس الوقت كانوا يحاولون أن يتقربوا للممالك المصرية واعتناق ديانتهم والاستفادة من نظامهم ومداهنتهم . . . وهذه حال الشعوب والممالك .

والأسرة الرابعة عشر والخامسة عشر (٢٦٦٠-٢٣٨٢) (٢٣٨٢-٢١٤٣)ق . م:

حكمت مصر فى هذه الفتره الاسرة السخاوية أودولة العمالقة والرعاه . . وهم من قبائل الشام انتهزوا فرصة الشقاق فى مصر . . وقد كان العمالقة من العرب العاربة .

الاسرة السادسة عشر الصانيه (٢١٤٣ - ١٩٨١) ق . م .

ظهر فى عهد الأسرة الصانية التى جعلت صان عاصمه لهم أيضاً من العرب

ومنهم (أبوقيس) الذى لقبه العرب (بالركبان بن الوليد) أنتزع ملوك هذه الاسرة الوجه القبلى من فراعنة مصر . . . وفى عهد هذه الاسرة ظهر سيدنا يوسف عليه السلام ومن قصة سيدنا يوسف عليه السلام تبدولنا صورة المجتمع فى تلك العصور وحالة الشعب والرعية ورهبة الفراعنه واستبدادهم وتحكمهم فى مصائر البشر كما تكشف لنا عن انتشار السحر والشعوذة سلطة الملك وحوله مجموعة من دجالى الدين الذين احترفوا الشعوذة والسحر . . وارهبوا الناس . .

الاسرة السابعة عشر (١٩٨٣ - ١٧٠٣) ق م

من تاريخ هذه الاسره يظهر لنا أن الصعيد كان قد أنفصل عن الشمال حتى اضطرت لاعادته وبذلك تكون الممالك السودانية قد انفصلت واستغلت ادارتها عن الشمال والسبب عدم استقرار الملك على ارض النيل هو توسع هذه المملكة شرقا وجنوبا وغربا مما جعلها تخضع اجناسا مختلفة كما فعلت الدولة العثمانية فى العصور الوسطى مما سهل انفصال هذه الشعوب عن المملكة المصرية واعادتها مرة أخرى وبذلك أصبحت تخضع للعادات والتقاليد الفرعونية ثم تعود مرة أخرى لتقاليدها المحلية . . وفى تاريخ هذه المملكة التى حكمها الرعاة ٣١ عاما لاشك قلت فيه نهضة الحضارة الفرعونية ودخلت عليها مؤثرات جديدة .

وفى نهاية هذا العصر ظهرت الدولة النوبية الاثيوبية فى أرض النوبة .

وجد بمنطقة بوهين مع التمثال قائمة بعشرين مدن أخرى بين بوهين ودنقلا .

وتدل القائمة على غناء هذه المنطقة بالذرة والمحاصيل الاخرى

الاسرة الثامنة عشرة الطيبية (١٧٠٣ - ١٤٦٢) ق م :

يبدو أن سلطة الأسرة الثامنة عشر الطيبية قد امتدت إلى الجنوب اكثر

عما سبقتها من ممالك . . ففى عهد هذه الأسرة ظهر ملوك وملكات عظام على مصر وسعـــوا حدودها وأخضعوا كل جيرانهم . . وقد ظهر لنا توسع الاسرة الثانية عشر الطيبية إلى الجنوب حتى الشلال الرابع ويبدو أنهم أقاموا مملكتهم الجنوبية هناك وقد تعبت تلك المملكة الجنوبية وصارت تابعة لهم ، أما عن ظهور المظاهر أو الحاكم المقيم . . . رغم انفصال هذه المملكة عن سلطة مصر فى عهد الأسر المقبلة ولكن زواج أول ملوك هذه الأسرة الملك (امونريس) الأول من أمينة ملكة أثيوبيا وهذا ماترجمة بأنه كان يقصد به مملكة الشلال الرابع (كرمه) وليست أثيوبيا الحبشة .

تزوج أموزيس بأمينة ملكة إثيوبيا (كرمه) وهذه المصاهرة لايمكن أن تكون قد قامت بدون مقدمات . . . فلابد أن تكون مملكة إثيوبيا قد بلغت شأوا من التقدم والازدهار حتى تتطاول لمصاهرة ملك الشمال . . . أو أن ـ هذه المملكة كانت إنحدرت من ممالك الأسرة الثانيه عشر وأحتفظت بزعامة إثيوبيا وتعود مرة أخرى بعـــد إستتباب الأمن فى هذه الاسرة الثانيه عشر لتساعدها فى حروبهـــا على ممالك النوبه والعرب العالقة حتى إنتهى منهم بمساعدة دول أثيوبيا . . وبهذا الاتحاد بين الجنوب والشمال ، خضعت منطقة النيل حتى الشلال الرابع لمظاهر الحضارة الفرعونية مرة أخرى . . وبهذه المصاهرة بين ملك طيبة وأبنه ملك إثيوبيا فقد نشطت التجارة بين الشمال والجنوب وإزدهرت العلاقات وأصبحت الممالك النوبية الكثيرة التمرد محصورة بين ملكين توحدوا بالمصاهرة ضد أعداءها وبذلك قلت خطورة وتمرد الجماعات الصغير . وربما تكن فى هذه الفترة قد خضعت كل مجموعات النيل لأشراف الدول الاثيوبيه وتم تمصيرها بمظاهر الحضارة الفرعونيه بعد تمرد النوبيين الذين عرفوا بعدم الخضوع لأى نفوذ جديد .

ثم بعد وفاته إستلمت وصاية الملك زوجته نفرتارى على ابنه (امنوفيس)

حتى شب هذا الملك وفى عهد وصايتها قويت مملكة إثيوبيا وجاء ابنهـــا فأتم إخضاع الممالك النوبيه وضمها لمملكته . ولاشك أن هذا الاخضاع هذه المره كان كاملا لايتوقف على الجزية والعقوبات ولكن كان بطريقة إشمل بتعيين نواب على هذه الممالك . وهؤلاء النواب لاشك كانوا من القوات المصريين والاثيوبيين .

ثم جاء بعـد إمنوفيس الملك (تحوتمس الاول) مصمماً على ضم الشام والنوبة ، وبايع النوبة خلفه تحتمس الثانى بلا قتال وهذا يعنى خضوع هذه الممالك لهذه الاسرة والاعتراف بأى ملك جديد تكشف عن نفوذ وتبعية هذه الممالك النوبية وذلك من جراء الدم الذى تسرب إلى بلاط المملكة الفرعونيه .

ثم جاء تحتمس الثالث الذى استولت أختـــه (هاتاسو) على الحكم نسبة لصغر سنه وانفردت بالحكم ووسعت بلادها وتوسعت فتوحات المصريين فى هذه الفترة .

ولما توفت عاد الحكم إلى أخيها تحتمس الثالث إعظم ملوك مصر الذى وسع مملكته وجنـد شعبه لهذه الفتوحات حتى أخضع الحبشة والنوبة ومعظم أراضى السودان وقد وصلت فيه لأول مرة جنود الحضارة الفرعونية إلى نهر العطبرة . ولكن لايمكن أن تعزل الحضارة قد دخلت إلى هذه السهول والحبشة فقد كان الاخضاع عسكرى وتجارى لم يسمح ببذر بذور حضارة شمال النيل وفى هذا العهد توسعت المملكة المصرية إلى الموصل والعراق واليمن وكردستان وأرمنيه وجزيرة قبرص ثم جاء بعدة إبنـــه أمنوفيس الثالث الذى أمكنه أن يخضع السودان لسيطرته حتى النيل الازرق . . . وبعـد هذا التوسع المنقطع النظير كان لابد أن يثقل كاهل الدولة بمراقبة الأمن والنظام وهذا يحتم وجود ملوك عظام على مر الزمان .

ولكن ماحدث فى نهاية هذه الاسرة الثامنة عشرة الطيبية ان اضطرب الحكم فى هذه المملكة الشاسعة .. وتمردت الممالك السودانيه هذة المرة التى أشادت لها قلاعا وحصونا على طول النيل وعرفت المعابد المصريه بدخول الجنود المصريين والكهنة ورجال العمارة حتى تعلم أهل النيل هذه الفنون والعبادات وكثرت مظاهر الحضارة الفرعونية من عادات وفنون عند أهل السودان رغم ما عرفوا به من عدم الخضوع لرأى سلطة خارجية فقد كانوا كثيرى التمرد والعصيان الأمر الذى قاد لارسال جيوش مصرية عظيمة فى عهد الفتوحات وبناء القلاع المصرية للحفاظ على طاعتهم . ولكن الفتوحات المصرية كان قل تعدادها فى عواصم النيل والنوبة حتى إصبح عدد هذه الممالك مرهون بقوة الملك فى طيبة وإستعدادة السريع لتأديب هذه الممالك المتمرده .

الأسرة التاسعة عشر الطيبيه (١٤٦٢ - ١٢٨٨) ق م

كان رمسيس الاول أول ملوك هذه الاسرة الذى وجد تركة ثقيلة وممالكه واسعه الارجاء تفككت أوصالها فى الشمال والجنوب والشرق وكانت أسيا مصدر قلق لهذا الملك .

وعادت الحروب من جديد لاخضاع إثيوبيا والنوبة والعراق والشام وإعادتها إلى حدود المملكة القديمة . . . وتطورت الفنون فى عهد هذة الاسره التى ظهر فيها ملوك عظام مثل تحتمس الرابع ورمسيس الثانى . . ولكن بعد عهد هؤلاء الملوك إختفت مظاهر التمرد والعصيان من جديد . . وتعرضت مصر لهجوم من الشمال من اليونانيين والليبيين وساء حال الحكم فى مصر وذلك لكثرة الجند الذين أصبح فى أمكانهم التمرد وقد كانوا من شتى الشعوب التى خضعت لحكم مصر . هنا تجمع أعداء أخر ملوك مصر لخلعه ووضعوا على عرش الملك رجل من عامة الشعب .

الاسرة العشرون الطيبية : (١٢٨٨ - ١١١٠)

ظهر رمسيس الثالث فى عهد هذه الاسرة وهو من سلالة أولئك الملوك العظام ولكن حال هذه الاسرة لم يختلف عن الاسرة السابقة فى مواجهة صعوبة الحفاظ على هذة الممالك الواسعة وهذة الشعوب المتمردة ..

الاسرة الحادية والعشرون الصانية (١١١٠ - ٩٨٠)

بعد إنتهاء الدولة الطيبية الثانية إستولت على الحكم إسره من (صاى الحجر) وانقسمت مصر إلى قسمين مصر الوجه القبلى تتبع لكهنة آمون وعاصمتها طيبة والوجه البحرى وكان فراعنتها الصانيين وقاعدتها صان ..

كان سمنوس هو أول ملوك صان وقد حاول إخضاع طيبة فى عهد ملكها الكاهن (حرحور) — . . . . الذى لم يرضى بتغلب الصانيين عليه فأتحد مع الممالك الجنوبية الأثيوبية ووسع مملكته حتى سنار وأتحاده هذا لاشك كان مع مملكة كرمة عند الشلال الرابع التى إستطاعت أن تقوى نفوذها وتحتفظ بسيادة جنوب النيل حتى النيل الأزرق . . . . ويبدو إن العنصر المصرى والديانات الفرعونية كانت خاضعة لامون الأمر الذى حتم تطويع هاتين المملكتين فى زمن الشدة ومحاولة الصانيين القضاء على عبادة آمون . . .

الأسرة الثانية والعشرون البسطية (٩٨٠ - ٨١٠)

وقد عاد الاضطراب مرة أخرى لمصر بدخول شعوب كثيرة إليها حتى سقطت مصر فى إيدى الشعوب المجاورة وخاصة شعوب أسيا الذين مهد لهم ملوك الدلتا بالعمل والوصول إلى مراكز عظيمة وإنتقل الحكم فى عهد هذه

الأسرة إلى مدينة بسطة وهى من الاسرة الطيبية واستولى اششنف على الحكم وهو من العنصر السامى ثم حارب ملوك طيبة وأخضعهم وبذلك مهد لانفصال اتحاد مملكة طيبة واثيوبيا واستقلال السودان مرة أخرى ! .. .. ..

ولم يستتب الأمر لاسرة من هذه الاسر المتعددة التى باتت تتربص بعضها البعض ومحاولة إستجلاب الأجانب والجنود المرتزقة للتمرد على الملك وخلعه : ثم ظهرت الاسرة الثالثة والعشرون الصانية .. .. (٨١٠ - ٧٢١ ق.م.) خالعة الأسرة الصانية التى ساعدت على انقسام مصر إلى أكثر من عشرين أمارة وبذلك تفككت الدولة المصرية العظيمة وأصبحت غير قادرة على الحركة فى الداخل والخارج بعد أن انهكتها أطماع الاسر المختلفة للملك ..

وقد اغوى هذا الحال مملكة اثيوبيا للتقدم وإستيلاء طيبة حتى عاد الصاينون مرة أخرى لاسترداد طيبة من الاثيوبيين .

الاسرة الرابعة والعشرون الصاوية (٧٢١ - ٧١٥)

ساءت الظروف فى مصر وأصبح الملك أمنية كل قادر وأصبحت الأسر القديمة التى ورثت الحكم كل منها تحيك المؤامرات للاخرى حتى خضعت طيبة مرة أخرى لتعود للاثيوبيين وذلك لاختلاف ملوك الوجه البحرى .. فقد انتهز الاثيوبيين مساعدة الصاويين لاستعادة ملكهم واستولوا على أرض الوجه القبلى حتى ظهر تفتحت وطلب من الاثيوبيين فرض الشروط التى يطلبونها والاعتراف به ملكاً على الوجه البحرى وكان هذا مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين . وجاء بعده (بكوريس) القانونى الشهير الذى قضى سبع سنوات فى نزاع مع الاثيوبيين طمعاً فى طردهم من مصر ولاشك أنه كان يستعمل العرائض وتفسير القوانين بعدم شرعية حكم الأثيوبين وبقاءهم فى مصر ..

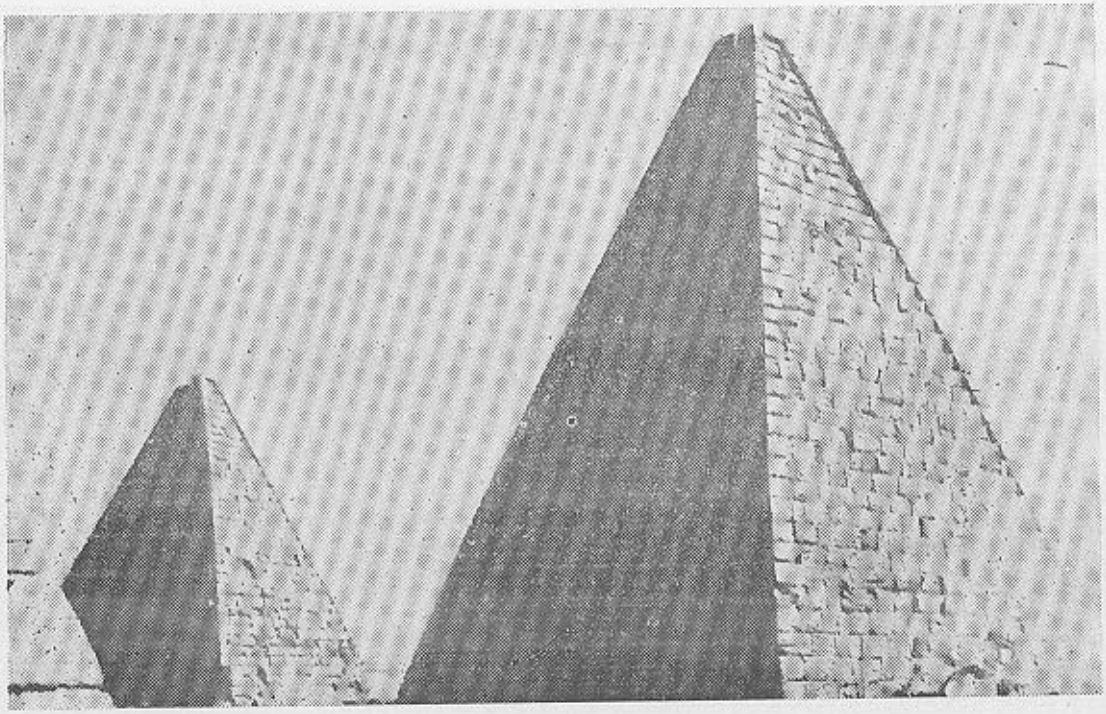

أهرامات مروى شرق معبد البركل حيث قامت مملكة نبته فى القرن الثامن قبل الميلاد.

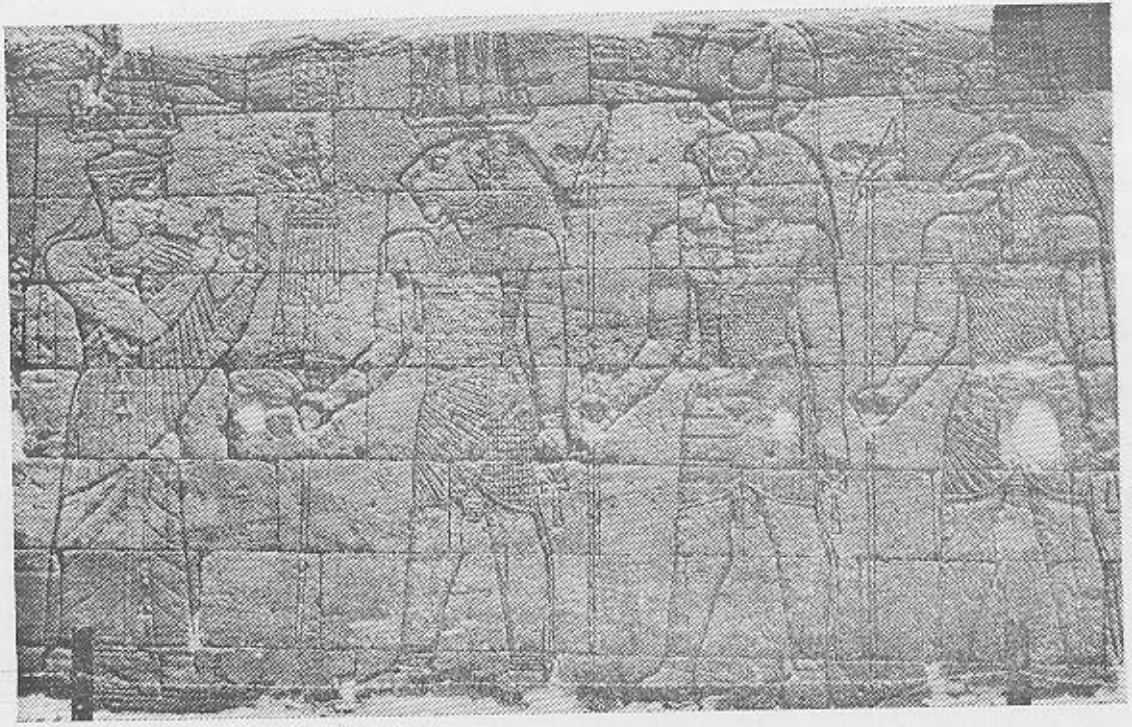

معبد الأسد بالنجعة . . بناه الملك ناناكامين (١٥ ق . م . — ١٥ م .) نايع لمروى القديمة .

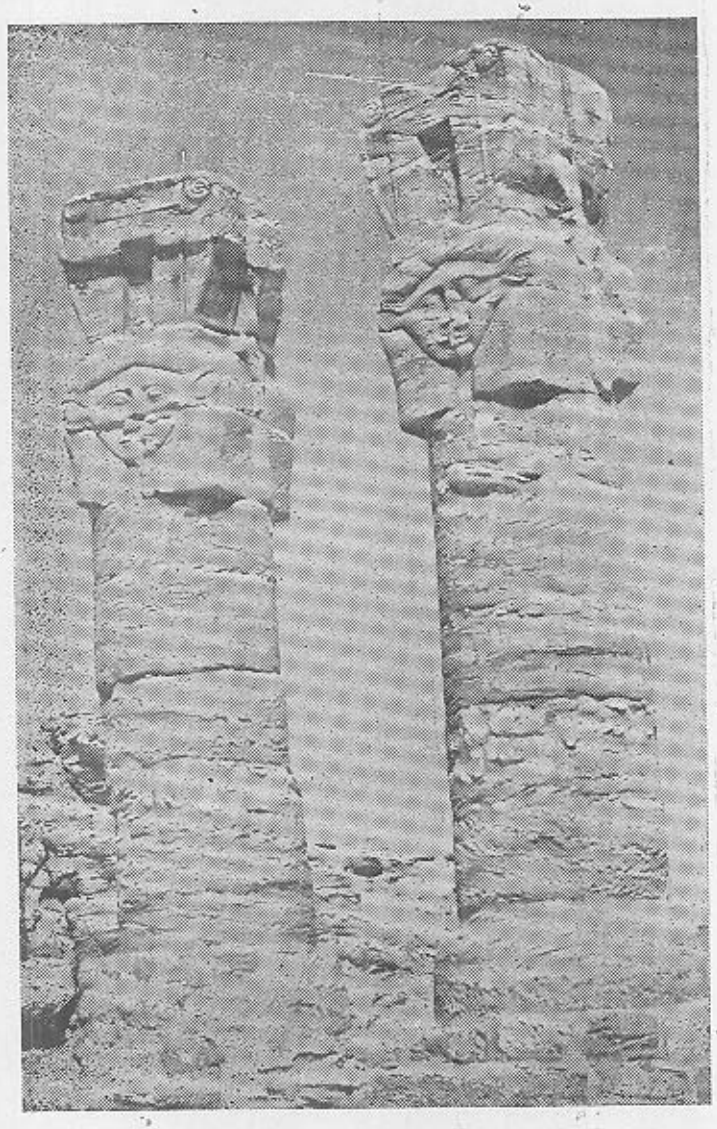

واجه الآله حاتور على وجهة أعمدة معبد جبل البركل من مخلفات مملكة نبته خلدها ملكها طهرقه العظيم .

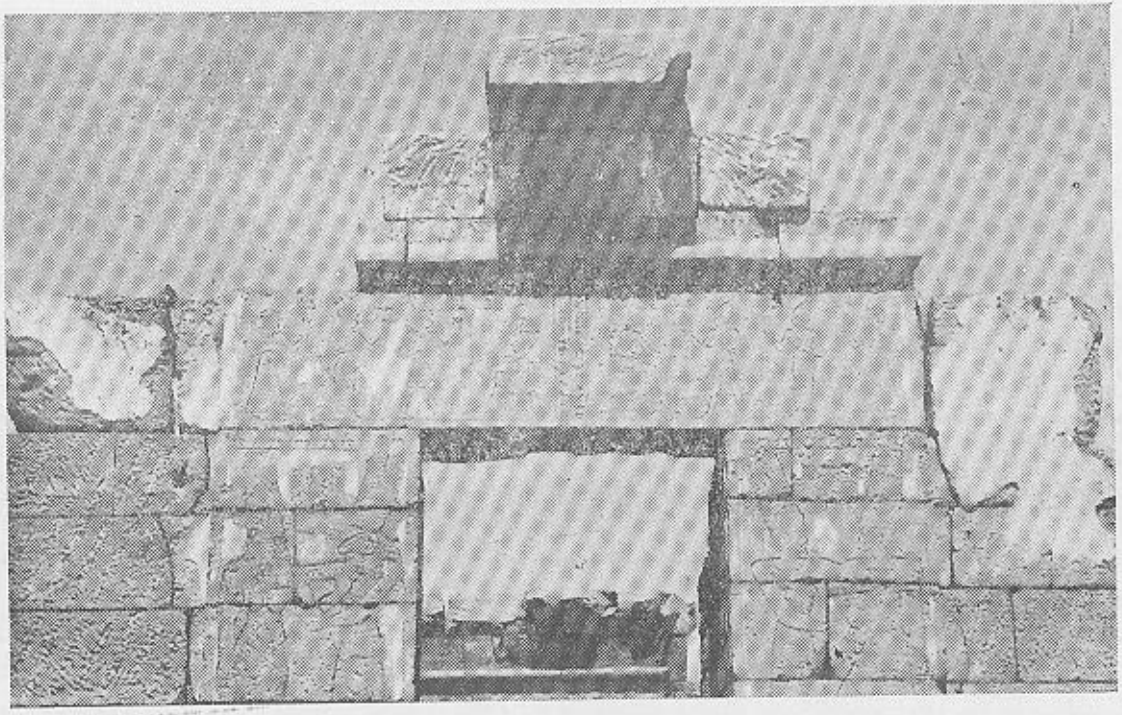

آثار حضارة مروى القديمة جنوب نهر عطبرة حيث أمتدت الحضارة الفرعونية إلى الجنوب .
اللوحة عبارة عن واجهة معبد آمون بالنجعة العهد المروى (٣٥٠ ق.م — ٣٥٠ م)

كما إستمر الأثيوبين فى محاولتهم لضم الوجه البحرى إليهم ولكن يبدو أن . الدولة الأثيوبية بدأت تدخل مراحل التوسع الذى طرأ على الممالك الأولى وأصبح بعد عاصمتهم (نباتا) على الوجه البحرى حائلا دون توسعهم حتى ظهر الملك (بكوريس) ملكا على الوجه البحرى فحارب الأثيوبيين فى عهد ملك (نباتا) (الملك سبقاون) الذى خلع (بكوريس وأحرقه واستولى على ملك مصر جميعها وانتهى بذلك عهد ملوك الاسر المصرية لتدخل مصر فى حكم شعب الجنوب من القرن الثامن قبل الميلاد ...

الأسرة الخامسة والعشرون الأثيوبية) (٧١٥ — ٦٦٥)

أحب شعب وادى النيل ملكهم سباقون بعد أن قضى على الفتن والمؤمرات للملوك ومعاملته الطيبة الحسنة للرعية وخط سياسة رشيدة لدولته الجديدة حيث لم تختلف ديانات وعبادات دولة نباتا عن الوجه القبلى وعبادة أمون . . وأعاد الحياة والتجارة بين شمال النيل وجنوبه وتوسع فى مملكته وأشاد المبانى وأعاد بناء القديم وتوسع فى منشآته من المدن والمعابد والقصور ولأول مرة ينعم شعب وادى النيل بالاستقرار ويتفوغوا للعمل والحياة الطبيعية ولكن إطماع هذه الدولة الجديدة الشابة المنتصرة حاولت التوسع جنوبا حتى النيل الأزرق وسهول البطانة والحبشة وإخضعت إواسط السودان وضمته لهذه المملكة وفرضت عليه مظاهر الحضارة الفرعونية التى إنتقل مركزها من الدلتا إلى طيبة ثم النوبه حتى وصل إلى البركل ثم مروى القديمة ...

ومن فضائل (سباقون) انه ألغى حكم الاعدام . . . وبعد أن نظم حكم مصر وترك مصر تحت رعاية أمة الملكة (اميزيتس) . . . . وذهب لنجدة ملك الشمال (هوشع) ملك إسرائيل (وحزقيا) ملك يهوذا وأمراء فلسطين

الذين استجندوا به من ملك آشور الذى هزم هؤلاء جميعاً مما أضطر سباقون للعودة لمصر ووجد أمراء الوجه البحرى قد تكتلوا فى غيابة ولسماعهم بأنهزام جيشه أمام الاشوريين اعلنوا استقلال الوجه البحرى (الدلتا) وحاربوه حتى طيبة حيث أقام إلى أن توفى بها . .

وخلفه ابنه سبيخون ورأى نار الفتنة تدب من جديد بين أمراء الوجه البحرى فأغار عليهم محاولا إسترداد الدلتـــا إلى مملكتة حتى تمكن من استرجاعها . . .

هنالك اختلاف حول إستلام ترهاقا للسلطة فبعض المصادر تفيد أنة قتل شبكتو بعد أن استولى على عرش نبانا والبعض تفيد أن شباكو أوصى به له .

ثم إستلم السلطة ترهاقا بعد أن اقصى سبيخون (شبكتو) وفى عهده فاض النيل وإستبشر الناس بعهده . . وكانت الدلتا وأرض فلسطين والعراق تضج بالحركة و تطلع ملوك أشور لامتداد سلطانه إلى النيل ، وتطلع ترهاقا لبسط نفوذه على ارض الشاميين والفلسطينين التى كرهت سلطة الفرس وبطشهم . وكان ترهاقا ذكيا فطنا فلم يعمد إلى محاربة خصمه (إسرحدون) ملك أشور مباشرة بل عمد إلى دس الدسائس بين الولادة التابعين لاشور حتى يفكك جبهة القتال التى تقف بينه وبين (أسرحدون) وقد بلغ الاخير محاولات ترهاقا لبث التفرقة بين عماله على فلسطين والشام . . فاغضبه ذلك وتقابل الجيشان وانهزم ترهاقا وتابعته جيوش الاشوريين إلى ما وراء الشلال الأول . . . واستولى الاشوريين على منف ثم عاد ترهاقا واستعادها ثم استردها الاشوريين مرة أخرى وصار الصراع بين الاشوريين وترهاقا على مصر حتى تنازل الاشوريين وعقدوا صلحا مع ترهاقا .. ومن ثم قامت سلطة الأثيوبيين على الوجه البحرى

بظهور دولة الأشوريين القوية فى الشرق ودولة نباتا القوية فى الجنوب جعلتا مصر أرضاً للحرب وميداناً للقتال بين قوتين شابتين حين دب فيها الفساد فأمراءها لايستطيعون أن يقفوا صراحة مع أشور أو مع مملكة نباتا ولايستطيعون أن يعادوا هذه ولاتلك والحرب يوم نصر لهذا ومرة لعدوه مما أضعف الوضع فيها وإضعف احاد حكام يساندون أحد القوتين لتخفيف نصر كامل حتى اقتنع الاثيوبيين بطيبة ثم جاء بسماتيك الاول الصاوى على الوجه البحرى واستعان باليونانيين على بناء دولته وعلومها وحفظ ود الاثيوبيين بزواجه بأميرة من بنات الاسرة المالكة الاثيوبية فاسترجع طيبة وضم مصر الجنوبية وعادت دولة إثيوبية إلى قواعدها الاولى حتى ظهر قمبيز ملك فارس وأدخل مصر تحت حكمه عام ٥٢٧ ق . م وبذلك دخلت مصر عهداً جديداً فى خضوعها لمظاهر الحضارة الفارسية ثم بعد ذلك لمظاهر الحضارة اليونانية والرومانية . . .

اما دولة اثيوبيا فقد أصبحت بعيدة عن سهام الفرس كما إنها اقتنعت بحدودها ورمت نظرها لبسط نفوذها للجنوب حيث كانت تمتد جنوب النيل الأزرق قبائل الشلك والعناصر السودانيين التى كانت تسكن أرض الجزيرة الفنية والنيل الأزرق .

دولة نبـــاتا

بعد إنتهاء حكم الأثيوبيين فى الوجة البحرى والقبلى وجلاء الآشوريين عنها اعتلى عرش الوجه البحرى الاسرة السادس والعشرين الصاوية . وفى عهد الملك بسماتيك الاول الذى استعان باليونانيين على تنظيم البلاد وتسكريهم والاحتفاء بعلمائهم إستطاع بمعاونة اليونانيين من طرد الإثيوبيين من طيبة وجنوب مصر وبذلك إنتهى أثر السيطرة الاثيوبية على مصر وكان ذلك فى عام ٦٥٠ ق م وبعد أن إستتب الأمر لبسماتيك ، بدأ إعادة الحياة لمصر وقرب اليونانيين وجندهم وجعل منهم قواده واكرمهم إلى حد جعل جنود المصريين يغضبون عليه ويقصدون إثيوبيا حيث رحب بهم ملك نباتا وكرمهم وإستفاد بهم فى تنظيم جيشه وفتوحاته لداخل السودان .

ورغم قلة المصادر حتى الآن عن دولة طيبه بعد القرن السادس الميلادى الا أنه يمكن أن نتصور حال البلاد بعد أن إكتفت دولة نباتا بالانتصارات الداخليه وإمتداد فتوحاتها إلى الداخل وانتشار العمارة والفنون والاستفادة من الجنود المصريين الذى تركوا خدمة بسماتيك الأول الذى بدأ فى ادخال . علوم اليونان وقواتهم ليمهد بذلك لدخول الحضارة اليونانية محل الحضاره الفرعونية :

نرى السودان يتوسع فى نشر هذه الحضاره الفرعونية جنوبا وتخضع له كل الممالك التابعة على النيل الازرق حتى سنار وتظهر عاصمة ثانية عند مروى القديمة ناحية كبوشية لتتولى اداره البلاد وتتولى نباتا العاصمة ادارة الجزء الشمالى .

كان هذا فى هذا العصر الذى بلغت فيه الحضارة الفرعونية عظمتها ورقيها

فى السودان وامتلأ النيل بالمعابد والقصور والفنون الفرعونية من حلفا حتى أرض الجزيرة ..

وبمرور الزمن دخلت الحضارة الفرعونية فى عصر الركود والخمول من جراء دخول الحضارة اليونانية ثم بخضوع مصر لحكم قمبيز ملك فارس عام ٥١٧ ق. م وتأسيسه الاسرة السابعة والعشرين الفارسية التى نكلت بالمصريين وبعباداتهم وحرمت عليهم عبادة العجل آبيس ، وأبطال الشعائر الدينية الفرعونية ، وكان السودان فى ذلك الوقت ملجأ للهاربين من بطش الفرس والراغبين فى نهضة السودان لإنقاذ مصر من وحشيـــة الفرس يبدو ان حكام نبا لم يفكروا فى هذا العمل مرة أخرى بعد هزيمة ملوكهم العظام بعانخى وترهاقا بجانب قوة الدولة الفارسية التى ارهبت العالم ونكلت باعدائها أشد التنكيل هذا كله جعل حكام نباتا لايتقدمون لانقاذ مصر خوفاً من ادخال أنفسهم ومملكتهم فى حروب مع هذه الدولة القوية السرشة التى ربما زحفت عليهم ودمرت حضارتهم بعدها دمرت حضارة مصر واذاقة شعبها مر العذاب وحرمت عليهم شعائرهم الدينية وعباداتهم . . وبذلك انفصل تاريخ السودان من ذلك التاريخ عن مصر ولم يحاول ان يدخل نفسه فى شئونها وذلك للضعف الذى بدأ على دوله نبتة وتوسعها وانقسامها الى أمارتين وخضـــوع مصر لسيطرة دولة قوية تختلف دياناتها عن دياناته وحضارة السودان الفرعونية - وربما حفاظا على هذا التراث من المؤثرات التى طرأت على مصر وازدهرت فيها واعادت لها الحياة من جديد

اقتنع السودان بأثار الحضارة الفرعونية التى لم يأتى ملك عظيم ليرفع من شانها أو يقودها ولم يستتب الامر هم ذلك للفرس فى مصر فاعمالهم الوحشية ومساعده اليونانيين للمصريين الذين كثر عددهم فى مصر وبذوغ دولتهم حرض المصريين للثورة على الفارسيين حتى أنهم ولكن ذلك لم يعطها استقلالها نهائيا

وانما كان تمهيدا لإخضاع مصر مرة أخرى للحضارة اليونانية بدخول الإسكندر المقدونى عام ٣٣١ ق م . مصر وضمها للامبراطورية الرومانيه بعد إن فتح بلاد أسيا الصغرى وصيدا وصور . . واستمر حكم اليونان فى مصر حتى إعتلى إحد قواد الاسكندر بطليمون بن لاغوس عرش مصر ودخلت مصر فى عهد البطالسة حتي آخر ملوكها كليوباتره سنة ٣٠ ق م .

وفى هذا الأثناء تطورت حياة مصر العلميه والفنية بانشاء جامعة الاسكندرية وبدخول العلوم اليونانيه كالفلسفة والفلك والعلوم العقلية وأزدهرت حياة مصر العلمية والفنية خلال ال ٣٠٠ سنة التى خضعت فيها للحضارة الرومانية . . ويبدو أن هذه الحضارة بعمارتها وفنونها وعاداتها قد وصلت للسودان وخاصه الفنون .. لان حسن الجوار بين المملكتين كان قائما فلم تحدث أى غارات أو هجوم بين الدولتين خلال تلك الفتره ولم تفكر احـــدى الدولتين فى بسط نفوذها أو مظاهر حضارتها بالقوة على الاخرى وأستمرت الحياة التجارية والتبادل الثقافى والفنون الرومانيه تفد للسودان عن طريق الهاربين والتجار والعمال ولكن هذا الاثر كان يسيطا لتعارض هذه الحضارة وتعاليمها مع الديانات المصرية بالسودان فلو سمح بدخول العلوم اليونانية يعنى ذلك الاعتراف بديانة أخرى غير ديانة الفراعنة والحضارة الفرعونية التى استوطنت السودان .

ويبدو أن السودان دخل فى مرحلة من مراحل الضعف والتفكك فى هذه الفتره فلم يحاول أن يستفيد من العلوم والفنون الاغريقية أو الرومانية على غرار جامعة الاسكندرية أو أرسال المبعوثين أو إقامة الاروقة وذلك لانعدام الصله بين حكام مصر من الرومانيين وبين حكام « نباتا » الذين كانت لهم علاقات طيبة مع حكام مصر من الوطنيين وصلت حد المصاهرة والمعاملات والمساعدات العسكرية .

وظل تاريخ الممالك السودانية الفرعونية خلال تلك الفترة يقبع تحت الاتربة وبقيت بقايا الآثار مبعثرة لم تكشف عن نفسها شيئا يذكر حتى دخل السودان فى العهد المسيحى ، ولم تحاول الدولة أثيوبية مرة أخرى أن تعاود الهجوم على مصر الا فى عهد أغسطس وإلى مصر الذى خرج لاحتلال شبه الجزيرة العربية وانتهز حكام « نباتا » هزيمته وبعـــده عن صعيد مصر لاحتلال مدينة إسوان وضواحيها ، وكان ذلك قبل ميلاد المسيح ببضع سنين ، ولكن أغسطس عاد وحارب الأثيوبيين حتى عاصمتهم « نباتا » وأجلاهم عن مصر مره أخرى وهذا يدلنا على قوة مملكة « نباتا » حتى ظهور المسيح ودخول مصر فى ملك الدولة الرومانية ..

المسيحية فى مصر والسودان :

ولد المسيح بأرض فلسطين بقرية بيت لحم ولما بلغ من العمر سنتين أتت به أمه إلى مصر مع يوسف النجار حيث عاش فيها أربع سنوات ..

ظلت مصر تحت حكم متقلب بين قسوة القياصرة الرومان وعمتها الفتن وعاش الشعب فى ظلم شديد فى آخر عهد القياصرة . وفى هذا الاثناء عمت الديانة المسيحية الشرق ولقى روادها الأوائل الكثير من صور العذاب والاضطهاد وقد لقى رواد المسيحية بمصر النصيب الأكبر من هذا العذاب ، من القياصرة الرومان . وقد ظهر بمصر رجالا حملوا عبء هذه الرسالة . وقد كانت الاسكندرية هى المقام الأول لهذه الرسالة ، ولكن قسوة قياصرة مصر لم يسمحوا للمسيحين بأعلان إيمانهم بل طاردوهم وجند الجند للقبض على كل من يثبت عليه ايمانه بالمسيحية حتى قادت هذه المطاردة وهذا التعذيب لظهور مذاهب وسلوك رجال الكنيسة فيما بعد .

اضطر الاضطهاد الدينى فى مصر المؤمنين بالمسيح بعد البطش والتنكيل ، أن هجر المؤمنين بالمسيحية المدن القرى وإعتصموا بالجبال والوديان وقد عمر وادى النطرون بمجموعة من الهاربين من هؤلاء المؤمنين . كما كان صعيد مصر ملاذا لهولاء النساك ، فوجدوا فى وديانه وشعاب جباله وبعده عن أعين الجند وأعداء الدين أمانا لحياتهم وللعبادة والهروب إلى حيـــاة النسك وقد كانت الواحات والصحارى أحسن الأماكن لإقامة هؤلاء النساك ومنهم الأنبا بأقوم الذى تولى الأشراف على النساك فى الصعيد عام ٢٧١م) وخط فى حياة الكنيسة القبطية مبدأ الرهبنة والعمل الجماعى . . لأن الكنيسة حتى القرن الرابع الميلادى لم تولد وحياة الرهبنة لم تبدأ بعد بالصورة التى نراها اليوم . فقد عاش رجالها يناضلون ضد الظلم والتعذيب حتى خطوا لسلفهم هذا السلوك .

تحمل المسيحيون من الأقباط رسالة المسيحيـــة والاحتماء . . . بالواحات والوديان وأوجدوا فكرة الدير .

عاشت المسيحية فى مصر حتى القرن الخامس والسادس الميلادى فى صراع مرير بين الاعتراف بهـــا من الحكام وبين التفسيرات الدينية بين كنيسة الإسكندرية ورهبان وادى النطرون وكنيسة القسطنطينية وكنيسة الامبراطورية الرومانية الغربية . . . وحركة الهرطقة التى ظهرت ووقفت فيها كنيسة الاسكندرية ورهبان وادى النطرون موقفاً مشرفاً فى بث الديانة المسيحية .

نبذة عن ملوك السودان العظام

(كشتا – سباقون)

لم يترك لنا ملوك مملكة نباتا أو الدولة الأثيوبية أى كتابات حتى يمكن عن طريقها كشف التاريخ القديم أو حياة هذه الممالك ونحن لا نستطيع أن نقول أنه لا توجد كتابات أو أنهم لم يخلفوا لنا أى أثار . ولكننا لم نستطيع حتى الآن أن نعثر على آثار قديمة تكشف لنا عن تاريخ ملوك عظام رغم قدم الدولة الأثيوبية وصداقتها لدولة طيبة وتوسع هذه المملكة جنوباً حتى سنار والحبشة والنيل الأزرق .

من أخبار مملكة نباتا نعلم إن كشتا ليس هو مؤسس هذه المملكة ولكن بما خلفه من الآثار نعلم أنه من أول الملوك العظام الذين وصلتنا أخبارهم ، إذ أنقذ مصر من سيطرة الليبيين ومؤمرات الأسر المتعددة للحكم وتطلع الآشوريين للسيطرة عليها . فقد وصلت مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد إلى حالة من التفكك والمؤمرات مما جعل إستتباب السلطة لبيت أو لملك أمراً مستحيلا وقد رأينا أسر كثيرة متعددة الأسماء تتطلع إلى حكم مصر حتى تقسمت مصر فى عهد الأسرة الثالثة والعشرين الصاوية (٨١٠ - ٧٢١ ق م) إلى أكثر من عشرين امارة مما سهل غزو مصر الدولة العظيمة التى انتهت الى أمارات صغيرة من جراء النفوذ والصراع على السلطة كما أن تدخل الآثيوبيين المستمر فى طيبة والمصاهرة التى قامت بينهم وبين الأسرات المختلفة جعلتهم على علم ببواطن الامور فى مصر كما أن اشتراكهم واتحادهم مع أكثر من أسرة جعل لهم نفوذاً عظيماً فى مصر تقيدهم بالديانات المصرية جعلهم يخافون على مصير هذه الديانات حتى وصلت

مصر فى عهد الاسرة الثالثة والعشرين الصافية لتلك الحالة من التفكك وكثرة المؤامرات فيها وتدخل الليبيين وتطلع الاشوريين للزحف عليها الأمر الذى جعل مملكة نبتة القوية المنيعة حافظة ديانه أمون التحرك لتنقذ مصر وتوحدها وكان ذلك فى عهد الملك العظيم بعنخى .

وأول ملك أثيوبى (سودانى) أعتلى عرش مصر وكون الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية (سباقون أو كشتا) الذى ثار على بكوريس ملك الوجه البحرى وأحرقه وأخضع جميع مصر تحت سلطته ودانت له دولة تمتد من الدلتا إلى النيل الازرق وشمولة . ..

ولننصف هذا الملك يجب علينا أن نرى الظروف العصيبة التى كانت تعيش فيها مصر والفتن الداخلية وتآمر الامارات على بعضهـــا وطمع كل ذى سلطة قديمة فى الملك حتى أضحى الوصول إلى الملك أو الامارة مغامرة من مغامرات القرون الوسطى التى حدثت فى اوروبا وانجلترا . جاء كشتا الى أرض طيبة والوجة البحرى وشعب مصر يقف معه ويحبه لما أبداه من حسن ونظام وعدل وطرد الليبيين من مصر .

وفى الداخل مازالت أطماع الأمراء السابقين تراودهم ولا يمكن أن . . . يصمت مثل هذا العدد من الطامعين فى الحكم بالهزيمة . هـذا فى الداخل أمـا خارج مصر فقد استنجد به هوشع ملك اسرائيل وحزقيا ملك يهوذا وكذلك امراء فلسطين من خطر ملك أشور الذى كان يستعد لضم هذة الممالك الى مملكة آشور .

فـا كان من كشتا الا أن جود جيشه وقاده بنفسه وسار تتبعه جيوش هذه

الممالك الا أن ملك أشور هزم بجيشه العظيم هذه الجيوش المتحدة وفرقها مما اضطر كشتا للعودة الى مصر لاستجماع قوته واعادة النظر فى خططه لهذا العدو

وفى هذه الاثناء انتهز أمراء الوجه البحرى هزيمة جيوش كاشتا ضد جيوش آشور فاعلنوا تمردهم وانفصالهم عن سلطة كاشتا وتصـــدو للجيش المهزوم وردوة الى طيبة حيث أستقر وأعاد النظام الى مملكته الواسعة حتى توفى بها .

* * *

شبكتو : (٦٩٨ — ٦٨٣ ق . م .)

خلف شبكتو عمه سباكوا على عرش نباتا وقد أعتلى العرش وما زالت أحلام مملكة مصر هى توحيد مصر ، وطرد خطر الأشوريين منهـــا تراود حكامهم ولكن المنيه لم تسمح لهذا الملك أن يستمر فى الحكم الا أنه بحسب درايته عرف من يستطيع من أسرته القيام بهـذه المهمه الخطيره بتوحيد البـلاد وتأديب الأشوريين غير أخيه الاصغر ترهاقا :

ترهاقا : ٦٨٨١ — ٦٦٣ ق . م .)

ظهر ترهاقا وهو يدرك المسئولية العظيمه التى ولاها له أخيـه ، شبكتو) بالحفاظ على وحدة وادى النيل وطرد الأعداء منها والمحاوله لنجدة شعوب فلسطين والشام التى أخضعها الأشوريين قسرا . . فما كان من ترهاقا إلى أن يعيد الأمل إلى أمراء هذه المناطق ومحاولته إرسال المناديب وتأليبهم على الأشوريين حتى أنكشفت خطته قبل أن تأتى ثمارها مما جعل (أسرحدون) ملك أشور يختار له جيشاً لمحاربته . والتقى الجيشان على الحدود وأنهزم جيش ترهاقا وفشلت خطته فى أزالة خطر الأشوريين . ولم يترك الأشوريين جيش ترهاقا المنهزم فقط ، بل تابعته حتى الشلال الأول ، ولكن الملك الفتى لم يقتنع بالهزيه فعاود الكره على جيوش الأشوريين حتى إقتنعوا بنف وأستمر القتال بين الأشوريين وترهاقا زمنا طويلا مرة ينتصر عليهم ومرة ينتصرون عليه حتى تركه الأشوريين مقابل أتاوة سنوية . . وقد أحيت هذه الحروب أطماع أمراء الوجه البحرى من جديد .

وكان الوجه البحرى مصدر قلق و رد للدوله الأثيوبيه . خلال محاولة بـط سيطرتها عليه .

ثانون أمون :

إستلم السلطة بعد وفاة خاله ترهاقا وكان ثانون كخاله شجاعا ذا أطماع وطموح فى إعاده توحيد مصر وطرد الأشوريين والليبيين عنها فجرد جيشا لطرد الأشوريين وقوبل جيشه عند طيبه استقبالا حسنا من شعب مصر ثم سار إلى الدلتا حتى دانت له ولكن الأشوريين لم يتركوه يضم أمراء الوجه البحرى حتى عادوا مرة أخرى بجيوش عظيمه لطرد الاثيوبيين من مصر حتى إقتنع ثانون أمون بالهزيمة وعاد لعاصمة نباتا وبعده لم يتطلع ملك بعده لاعادة توحيد مصر بعد أن قويت دولة الفرس وأصبح خطرها يهدد دولة نباتا فاقتنعت بالسلام معها وتوسعت بملكتها داخل حدود السودان .

(دولة نباتا ومروى القديمه)

بعد أن تعزز على ملوك دولة نباتا الاحتفاظ بالسلطة على مصر حاولت أصلاح إمورهم الداخلية والرقى بعباداتهم ومنشأتهم فأنشأوا المعابد والقصور وأصبحوا حافظى حضارة الفراعنة بعد أن دخل الفرس مصر وأساءوا معاملة سكانها وديانتها ومعابدها حتى قضوا على معظم معالم الحضارة الفرعونية .

أصبح السودان بعد عودة ثانون أمون ملجأ للحضارة والفنون الفرعونية وبذلك أنتقل الحكام فى ازدهار هذه الحضارة على أرض النيل جنوبا وأقاموا مراكز لهم فى جنوب نباتا وفى هذه المراكز الهامة مروى القديمه التى اقتسمت الحكم مع نباتا وأصبحت هى المشرفه على المنطقة جنوب شندى حتى منطقة الجزيرة والنيل الأزرق .

دولة أكسوم المسيحية فى الجانب الشرقى من السودان

تحدثنا عن علاقة السودان القوية بمصر ، وقيام الحضارة العظيمة على النيل فى الشمال وقيام دولة (نبانا) العظيمة لنزحف فى القرن السابع قبل الميلاد لتحرر مصر من الاضطرابات وتبعد عنها خطر الأشوريين والليبيين وتمسك بزمام ملكة طيبة ثم تستولى على الوجه البحرى . . .

وتابعنا قصة الحضارات والإمبراطوريات العظيمة التى ظهرت فى الشرق ودخلت مصر وأبعدت عنها السودانيين . وذلك من قراءة الوثائق والآثار التى خلفتها لنا تلك الحقبة ولكننا لم نتطرق إلى شرق السودان والبحر الاحمر خلال تلك الفترة حتى ليظن أن هذا الجانب من القارة الافريقية . كان ميتاً معدوم الحياة والسبب راجع لا لرغبة المؤرخين فى تجاهل هذا الجانب ، ولكن لفقدان أى دليل يلفت النظر إلى ذلك الجزء من القارة الذى شد إنتباهنا اليه فى القرن السادس الميلادى وإنفصاح الوثائق والروايات التاريخية عن حضارة عريقة فى هذا الجزء من افريقيا والبحر الأحمر وعلاقته بالجزيرة العربية وخاصة اليمن .

تحدثت الوثائق التاريخية والآيات القرآنية عن دولة عظيمة لها من القوة والمناعة ما يجعل تصور نشأتها وتطورها إلى عدة قرون قبل الميلاد .

ظهرت دولة اكسوم وملكها ملك الملوك « غالب » الذى كشف تاريخه عن حضارة الحبشة وقدمها وسيطرتها على هذا الجزء من إفريقيا وفرض سيطرة شعبها عن الامارات العربية فى اليمن .

وتحكى لنا قصة إكسوم وملكها « غالب » ان الاثيوبيين كانوا يقومون بأعداد

كبيرة فى اليمن وأن المسيحية دخلتها فى القرن الرابع الميلادى وهى فى أوج مجدها وقوتها وأصبحت هذه الامبراطورية العظيمة على الهضبة الحبشيه قائدة للتبشير المسيحى فى أفريقيا . وجنوب الجزيرة العربية وبل وفى السودان .

واذا كانت الوثائق لم تكشف لنا حقيقة قيام دولة إكسوم بالهجوم على دولة مروى القديمة وتخريبها ولكن غيرة هذه الدولة على المسيحية ومحاولة بسط نفوذها وقرصنتها عبر البحر الأحمر على العرب تبين لنا إن الباعث الأول كان لتحطيم تلك الحضارة الدينية التى أقامت على الجزيره العربية والنيل الأمر الذى قاد لتحطيم تلك الحضارة الوثنيه فى السودان ومملكتها وظهور مملكة علوة المسيحية بعد هذا الدمار الذى الحقته دولة اكسوم بمملكة مروى القديمة .

وتروى قصه ملك الملوك « غالب » ملك الحبشة بعد أن تعرض بعد الأحباش المسيحيين للقتل باليمن ، أن أرسل قواته لليمن وقتل منها أعداداً هائلة من عباد اليهوديه وبناء الكنائس فى محاولته الجريئه التى ذكرها القرآن بقيادة قائد جيشه ابراها وعبوره للبحر الاحمر ودخوله الجزيرة العربية ومكة لتحطيم الكعبة وفرض المسيحيين على العرب وقصة الفيل والطير الأبابيل التى جاءت فى القرآن والامكانيات البحريه العظيمة التى كانت لدى هذا الملك للتحرك فى هذه الحقبة لليمن أو الى مكة تكشف لنا عن مدى تقدمها وقوتها كما تكشف لنا وسائل النقل عبر البحر الاحمر كانت يسيره والسفن تعرف عبر هذا المضيق ولم يكن هناك مانعاً أمام الاولين بل كانت الملاحة أمراً عادياً .

فشلت حملة ابراها قائد جيش غالب ملك أكسوم عام ٥٧٠ م . وعادت المملكة إلى حالتها الأولى بعد هذه الخسائر ومحاولتها لمحاربة اليهودية فى الجزيرة العربية تكشف لنا عن العلاقات العريقة بين القارة الافريقية والجزيرة العربية

وخاصة اليمن ووجود أعداد هائلة من الأحباش باليمن وكذلك وجود أعداد هائلة من العرب بالحبشة .

هذه المملكة القوية كان لها أثرها على الحياة السودانية فى فرض المسيحية ديناً عليه بقوتها وبطشها ، وربما لولا محاولة مملكة أكسوم وتحطيمها لمملكة مروى لما تقدمت المسيحية كثيراً فى السودان كما يكشف لنا أهمية شاطىء البحر الأحمر وحيويته ونشاطه من قديم الزمن وقيام ممالك قديمة بالقرب منه .

وقد حاول العرب الاتصال بالقسطنطينية لتمدها بالجيوش لتردع جنود أبراها وتنتقم منه بتهديم مملكته فى الحبشة إلا أن القسطنطينية لم تلبى طلب العرب واعتذروا بأن الملك غالب أخ لها فى الديانة المسيحية ولا يصح أن تحاربه وتعاون من يحاول أن يحاربه ولم يقتنع العرب بهذا المنطق بل حاولوا الفرس ولكن محاولاتهم لم تنجح .

وأرسل إمبراطور الفرس لينقذ اليهود العرب بجيشه تعداد أربعة ألف جندى واستطاعوا القضاء على كل الحبشة المسيحيين الذين كانوا بالجزيرة العربية وخلعوا الملك الحبشى الذى كان على عرش اليمن وبذلك انتهت المسيحية فى الأراضى العربية لتفتح المجال لظهور الإسلام بتعاليمه الجديدة .

وبظهور الإسلام فى الجزيرة العربية وإسلام اليمن وسيطرتهم على البحر الأحمر ضعفت قوة دولة أكسوم الحربية بعد أن ساءت علاقتها مع جيرانها من العرب : حتى كان القرن العاشر (٩٦٠ م) وقد وصلت حالة من الوهن والتدهور والتطاحن على التاج الأمر الذى قادها إلى الخلافات الدخلية الكثيرة وشغلها ضعفها هذا عن محاولة الامتداد أو التدخل فى شئون السودان .

وظهر هذا الشقاق بمحاولة الأسر والمتعددة للوصول للسلطة كما ساءت حالة الكنيسة وخضوعها للملك وذلك بفرض رئيس عليها من أقاربه دون إعتبار للمكانة العلمية . الأمر الذى جعل علاقة هذه الكنيسة مع كنيسة الاسكندرية ضعيفة وجعل مكانة رؤساءها مشكوك فيه وسرى عليها النظام الذى كان ساريا فى وسط أوربا .

محاولة ملوك أكسوم لإخضاع الكنيسة لسيطرتهم واحتفاظهم بسلطتهم الآلهية القديمة على الشعب جعلتهم يدخلون فى شئون الكنيسة ويسلكون نفس الأسلوب الذى اتبعته الكنيسة الإقطاعية فى أوربا الأمر الذى أقل من هيبة الكنيسة وأحط فى شأنها الدينى والعلمى حتى ضعفت وأصبحت غير قادرة على حماية المسيحية وذلك كان واضحاً فى البعث التى أرسلتها كنيسة علوة من البشريين لطلب العون العلمى من كنيسة الحبشة فعجزت عن تقديم العون العملى لرهبان كنائس سوبة وحاولت الاستنارة بكنيسة الاسكندرية كما جاء فى الروايات التاريخية وإنما هو تبرير للرفض . . . وأقرت عدم تقديم العون لهذا التبرير بعدم موافقة كنيسة الاسكندرية حتى اليوم .

السودان بين الركود والعزلة بعد القرن الثالث الميلادى :

آخر الأخبار التى وصلتنا عن السودان هو دخول بعثة التبشير المسيحية الأرثوذكسية وتعميدها ملك علوة وأفراد أسرته وحاشيته ودخولهم فى الديانة المسيحية فى القرن السادس الميلادى وإنتقال ثقل المملكة السودانية من جوار مصر إلى داخل السودان إلى سوبة وبذلك إبتعدت عن أخبار الحياة والنشاط السياسى الذى كان يربطها مع مصر . وتركت مصر الى تنفصل عنها فى أمورها السياسية إلا أن وهنت قواها وكثرت فيها الجيوش الأجنبية وتغيرت الملامح الحضارية فى مصر بدخول الفرس والإغريق والرومان من القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السابع بعد الميلاد . ثلاثة عشر قرنا وهى خاضعة لتأثير حضارات هـــذه الشعوب حتى بعدت الشقة بينهما وبين السودان وأصبحت العادات والعبادات تختلف . وذهبت المملكة السودانية بهذه الحضارة الفرعونية بعيداً عن هذا التأثير الفارسى والإغريق والرومانى والمسيحى . وإنعدمت الصلة الحضارية وانحصرت حضارة النيل القديمة داخل السودان وانمحت آثارها ومظاهرها من مصر ، إلا من هذه الآثار الباقية التى لم تعد تشد إليها روح المواطن المصرى بعد أن فرضت عليه العبادات الرومانية والمسيحية إلا غيرة ملوك السودان التى لم تقف سلبية عن مصير هذه الحضارة الأم . وقد رأينا فى أوائل القرن الأول للمسيحى محاولة النوبيين لاسترداد طيبة والصعيد مرة أخرى إلا أنهم نالوا ما يستحقون من العقاب والهزيمة فى تلك الدولة الرومانية التى يستطيع نفوذها وحضارتها على البحر الأبيض المتوسط مما جعل ملوك السودان يوقفون التفكير مرة أخرى فى العودة لمثل هذه المحاولة مع الإمبراطورية الرومانية .

ثم ظهرت المسيحية والسودان يتابع الأحداث فى مصر ويشارك فى إيواء المصريين المسيحيين . ثم قبل المسيحية دينا له فى القرن السادس الميلادى وبدأت

الصلاة تقوى من جديد بربط ملوك الممالك السودان بكنيسة الاسكندرية وملوك مصر ، إلا أن هذه البداية لم يكتب لها الاستمرار إذ ظهر عمر بن العاص فى القرن السابع الميلادى وفتح مصر ونشر الدين الإسلامى بين ربوعها وانتشر الجند العرب يحرسون المدينة الإسلامية . . . وصمت السودان إلا من محاولة النوبة وملك دنقلة للوقوف ضد هذا الدين الجديد الذى جاء ليغير ديانة مصر المسيحية بعد أن اعتنق السودانيين المسيحية ولم تعمر أكثر من قرن يأتى هذا الدين ليفرض عليهم ديانة جديدة بعد أن عدلوا من عباداتهم الوثنية بالديانة المسيحية مجاراة للتأثير العام الذى حدث فى وادى النيل وأصبحت الديانات الفرعونية غير قادرة على مقاومة تأثير هذه الديانات السماوية .

ووجد العرب السودان الشمالى غير مغرى لبقاءهم لضيف النيل فى تلك المنطقة وشراسة أهله غير ملاءم لبقاءهم ولحياتهم البدوية القديمة فغادروا بعد أن ضمنوا سلامة إقامة الشعائر الاسلامية وعادوا وتركوا السودان المسيحى عن مصر المسلة المسيحية الوثنية . . فالديانات الوثنية القديمة تلم تفرط كلية فى حياة المسيحية حتى ظهور الاسلام ثم عمت المسيحية أراضى واسعة ولم تتمكن من القضاء نهائياً على الوثنية وإذا بالاسلام يظهر على أرض الدلتا والوجه البحرى ، فانقطعت العلاقات بين السودان وبين مصر التى باتت تحت أيدى المسلمين العرب وانزوى حكام دنقلة بعد الهزيمة التى منوا بها فى عهد عبد الله ابن السرج فى حين عاشت الممالك الجنوبية فى خوف من وصول جنود هذه الدولة الاسلامية التى نشرت نفوذها على كثير من الشعوب ولم تحاول الممالك المسيحية فى نبانا أومروى محاربة هذه الدولة العظيمة بل قاد ظهور هذه الدولة فى تغيير عواصم الممالك المسيحية السودانية فانتقلت إلى الجنوب وأصبحت سوبة عاصمة الجنوب وسيطرت على أملاك الدولة القديمة على النيل الأزرق والجزيرة لخصوبة تلك المنطقة من شمال السودان . الأمر الذى قاد لكافة سكان منطقة

النيل الأزرق والجزيرة دون غيره من مناطق النيل التى كانت فقيرة فى السكان بعيدة عن بعضها ، تعداد سكانها بسيط ومبانيها قليلة وتعيش على ضرائب التجارة أما عطبرة فلم تكن موجودة غير خيام بعض الأعراب فى أوائل القرن التاسع عشر يعيشون على الرعى وفى حالة من الفقر والاعتماد على خدمة القوافل التجارية ثم الدامر مدينة المجاذيب وعيشة سكان هذه المناطق .

يقول جون لويس بوكهارت الذى زار هذه المنطقة سنة ١٨١٤ م ويمكن من وصفه تتصور حالة هذه المنطقة القليلة السكان إلا على ضفاف النيل قبل ظهور العرب المسلمين ونزولهم فى الشمال وتعمير سهول البطانة وإستطيطان النيل يقول « مقرن (نهر عطبرة) وهو الحد بين إقليم رأس الوادى والدامر . ورأينا السواقى على ضفافه الجنوبية ترفع الماء من البرك ودلنا ترتيب الحقول هنا ونظامها ، ووجود المساقى الصغيرة على أن الزراعة تلقى من العناية قسطاً لا تلقاه فى الأقاليم التى جزناها من قبل » .

« الدامر قرية أول بلدة كبيرة قوامها خمسمائة بيت من السكان وهى نظيفة تفضل فى شكلها بربر لما فيها من مبانى جديدة وخلوها من الخرائب وفى بيوتها شىء من التنسيق وشوارعها منتظمة وتنمو فى كثير من أرجائها الأشجار الوارفة الظلال ويسكنها عرب من عشيرة آل المجذوب ويردون أصلهم إلى جزيرة العرب وجلهم من رجال الدين أو الفقراء وليس لهم شيخ يتزعمهم بل فقيه يسمونه « الفقيه الكبير » وهو الرئيس الفعلى والقاضى الذى يفصل فى خصوماتهم « وليس فى البلد سوقاً يومية ولكن فيها سوقاً أسبوعية يعرض فيها كل تاجر بضاعته . وذكروا إن المبيع فى الماشية فيها كثير وأن الحصر الدامرية المصنوعة من خوص الدوم تلقى رواجا كبيراً فى البلاد المجاورة كلها » .

أما شندى فيقول عنها بوكهارت (أكبر بلد فى شرق السودان بعد سنار

وكوبى بدارفور ويقول التجار إنها أكبر من عاصمتى دنقلة وكردفان وتتألف من عدد من الأحياء تفصلها عن بعضها البعض الميادين العامة أو الأسواق ، وقوامها ثمانمائة بيت إلى ألف وهى مبنية فوق السهل الرملى على نحو نصف ساعة من الساحل الرملى وتشبه بيوتها بيوت بربر ولكنها أعمر منها بالمبانى الكبيرة وأقل منها ضرائب .

هذا جزء من صورة المدينة والجماعة التى سكنت الشاطىء وسنعود لذلك فى فصل منفصل ولكننا لو أردنا أن نتصور حالة هذه المنطقة والمناطق الأخرى من العمران قبل ألف سنة قبل دخول العرب عليها والتأثير فيها ويظهر لنا إعتماد هذه المنطقة النيلية على الزراعة والتجارة فشندى تتاجر مع بربر ودنقلة وسنار وهى أكبر مركز تجارى وسط السودان وكذلك مع شعوب دارفور ووقوع شندى فى وسط السودان وعلى أرض نيلية خصبة وأراضى زراعية أكثر من الشمال جعل لها أهميتها من قديم الزمان . . . وهذا مايبدوا مارشح مدينة مروى القديمة المجاورة لها أن تحتل هذه المنطقة الغنية بالأراضى الزراعية والصالحة للمرعى المسيطرة على طرق التجارة .

ونعود مرة أخرى إلى حالة الركود والعزلة التى عاشتها السودان فى القرن السابع الميلادى إلى القرن الثامن عشر الميلادى وقد رأينا تأثير الأحداث فى مصر فى العصور الأولى كان لها تأثير مباشر على السودان وكانت الممالك السودانية القديمة تحاول أن تكون عاصمتها قريبة من حدود المملكة المصرية ولكن بعد إنفصال مصر ودخول العرب الإسلام فيها ، أن قنعت الممالك السودانية بالزحف لداخل السودان وبذلك بعدت عن أخبار مصر ومشاكلها . . . وقاد هذا الركود والعزلة الداخلة لضعف الممالك المسيحية القديمة وإنقسامها إلى دويلات عديدة داخل السودان الأمر الذى فكك وحدة الدولة القديمة التى كانت تقود الفتوحات . وهذا التفكك آتى لاشك نتيجة لتوسع أفراد الأسر المالكة خلال

الفترة المسيحية ، مما ساعد على ضعف سيطرة الملوك على سكان السودان نتيجة للخلافات الداخلية بينهم . فقد كانت الديانات الوثنية الفرعونية حتى القرن السادس الميلادى تجبر الأفراد على عبادة الملك وتجعله أبن الآلهة آمون وكانت للملوك سلطة روحية على هذه الشعوب فجاءت المسيحية تحرر العقول من هذه السلطة الوثنية وعادت للناس حرية العبادة الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى تفكيك الدولة الوثنية بفقدانها سلطانا روحيا قوياً على الناس وبذلك قل ولاء الناس المطلق للملك والعبادات الوثنية ، كما تدخلت الكنيسة فى كشف جانب كبير من الحياة الروحية والعقلية لهذه الشعوب منها حياة الدير والرهبنة وسماعهم لأول مرة مثل هذه الآيات المسيحية :

(١) بالحقيقة نؤمن بالرب . . .

(٢) الله الرب ضابط الكل . . .

(٣) خالق السماء والأرض ماترى وما لايرى . . .

(٤) نؤمن برب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور . . .

(٥) الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا . . .

(٦) الذى ليس لملكه إنقضاء . . .

(٧) نؤمن بالروح القدس الرب المحى . . .

(٨) وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى .

(٩) ونعترف بمعمودية واحدة لمغفر الخطايا .

مثل هذه الآيات الكريمة من الانجيل كان لها ولاشك تأثير بليغ على التفكير العام عند الناس . فقد كانوا يؤمنون بالاسطوره وألوهية الأصنام والبشر وإذا بهذه الايات تفتح لهم آفاقا جديدة فى التفكير للحياة والآخره وتعيد لهم إنسانيتهم وفرديتهم وحريتهم من التبعية لأى فرد . مثل هذه الأفكار الواردة فى تلك الايات الكريمة . لاشك خلقت نوعا من الانفصال والتمرد وعدم الطاعة وفصلتهم من حياة السخرة لأن طاعة الملك كانت عندهم طاعة الالهة وأرضاءه هو ارضاء الالهة وذا بهذا الدين الجديد يفتح إذ هانهم لعالم الحق وعبادة صحيحة تذهب إلى اله واحد خالق لكل هذا الكون . . . .

كان تأثير هذه الايات ليس وقفا على عامة الشعب ولكن على الملوك الذين أول من آمن بالمسيحية وأنفتح عقلهم لحقيقة الحياة وإنكشف لهم نور الحق ولاشك إنهم تأثروا حتى إنهمرت ادمعهم للتكفير عن خطاياهم السابقة وتسخيرهم للبشر وإقتنعوا بالأيمان بمعاملة الناس بالحسنة واللين ومايرضى الله وقلة مطامعهم فى الدنيا وأنشغلوا بالعبادة ومعرفة أسرار هذه الآيات التى فتحت أذهانهم للحقيقة الكاملة مثل هذه الايات (الذى به كان كل شىء) وأيضاً يأتى من مجده ليدين الاحياء والأموات ، وكذلك مثل هذه الصلاة : « محيا البشر الصالح ، سيدى يسوع ، إطلب إليك لاتطرحنى عن شمالك مع الخطاة . ولاتقل ايضا أنى لست أعرفك ، إذهب عنى يامستعد للنار الابدية لا لأنى أعلم بالحقيقة إننى خاطىء . . : أمتحنى يارب توبة كى أتوب قبل أن يغلق الموت فاى فى أبواب الجحيم . . . . . وهذه من الصلوات الخاصة بالرهبان التى كثيرا ما كان يسمعها أهل الحاشية ولامكانية البيت المالك دخلت المسيحيه عليهم واثرة فيهم قبل غيرهم فى قلوبهم وتفكيرهم حتى شغلته بخطاياهم وآثامهم والتكفير عنها .

دخلت المسيحية وفتحت العقول نحو الحياة الأبدية والخطايا والغفران

وشغلتهم عن مكاسب الدنيا والفتوحات وقل بذلك نشاط الحياة اليومية لانشغال الناس بالعبادة والخوف من العذاب فى الحياة الأخرى مما شجع لصرف الأموال فى سرعة فائقة لبناء الكنائس والاديرة واحترام الرهبان والمتعبدين وشاركت الخزينة العامة بنصيب وافر فى هذا العمل المفيد فى الاخرة :

ملأ الأيمان بالله قلوب الناس والملوك وأصبحوا يتسامحون حسب وصايا الرب فى كل شيء حتى مع العرب النازحين من الشمال ببشائر دينهم الجـــديد . وترك لبقية الناس حرية العبادة ولم تفرض عليه الديانة الجديدة وماجاء نقلا عن « جكسن » فى عهد السلطان عبد القادر الذى خلفه السلطان عمارة حوالى ١٥١٧ م أن أهالى جبال مويا وشندى ظلوا يقدمون فتاه كل عام قرباناً للآلهة كى لاتمنع عنهم المطر وذلك نتيجة للتسامح الدينى الذى جاءت به المسيحيه .

هذا يكشف لنا الوضع العام للحياة الاجتماعية والحرية التى تمتع بها الفرد بعد دخول المسيحية ورغم إن السودان كدولة موحدة لم يظهر ويهتم بالاحداث الخارجية إلا أن الحركة التى خلقها العرب والاسلام فى الأراضى المجاورة قادت لشل هذه الحركة رغم تعرض السودان لكثير من المناوشات من الشمال والشرق مما قاد لتدهور الممالك السودانية من ظهور ممالك إسلامية جديدة لم تستطيع إخراج السودان من عزلته وتفاعله مع الأحداث نسبة الاضطراب التى عمت الشرق وأفريقيا وسنحاول أن نتتبع الحياة قرنا بقرن حتى يستطيع نملأ هذا الفراغ الذى أوجدته الكتابات التاريخية .

دخلت المسيحية السودان وفن الحضارة الفرعونية فى السودان يتدهور بتدهور الدولة وضعفها ، وإنقسامها وانفصالها عن أرض طيبة وأصبحت الحضارة الفرعونية معزولة عن أرضهـــا الأولى وذهبت تجوب أرض

السودان حتى وهنت قواها ووقفت حركة البناء والتشييد التى هى عماد العبادات الفرعونية وحضارتها .

كانت العبادات الوثنية الفرعونية هى الحافز الأول لازدهار النيل بهذه الحضارة الفنية وهذه التماثيل الجميلة وهذه المعابد العديدة . عرف الإنسان الأول الفن كأجمل شىء يمكن أن يؤثر ويريح الفرد فطور هذا الفن بعد أن أصبحت الآلهة قطعة فنية . فكان لزاما على الفنان الابداع فى خلق هذه الالهة فى أبدع صورة فنية . وكان تسابق الفنانين لأرضاء الالهة والفراعنة والكهنة هو الدافع الأساسى لهذا التطور الفنى الذى ملأ النيل وفاق حد التصور فى تلك العصور البعيدة حتى تطور وفاق كل الأعمال الانسانية الأخرى .

نشطت حركة الفن فى تلك العصور من جانب مواهب الإنسان الأخرى ولكن الالهة كانت هى اسمى مايتمناه إنسان النيل . أن ترضى عنه الالهة . . وكانت منية الفنان أن ترضى عنه الالهة ليخدمها ويصنع لها تمثالا أو يرضى عنه الملك أو الكهنة باعتبارهما يمثلان الآلهة ورضاهما جزء من رضاء الآلهة . . . وكان الابداع ضرورة أوجدها هذا الحافز وهذا الحب فانتشر الفن فى كل أرجاء النيل وأصبح عمل التماثيل الكبيرة والصغيرة هواية وأمنية لكل فرد . . . وهذا تكشفه لنا الأعداد الهائلة من التماثيل الصغيرة للآلهة التى خلفتها لنا تلك الحقبة من الحضارة . . . وقد قال المؤرخ الإغريقى هيردوت الذى زار مصر فى القرن الرابع قبل الميلاد أن المصريين يتمسكون بدينهم وعاداتهم لدرجة بالغة ويتلون المراسيم أكثر من أى شعب .

هذا ما قاله هيردوت الذى رأى المصريين وحبهم لعباداتهم وهو تصور بسيط للحالة التى كان فيها الإنسان على النيل . . . فقد كانت العبادات بما فيها

عبادة الآلهة والملك والكهنة هى القوى المسيطرة على طاقة سكان النيل وكان سكان النيل عجينة طيبة فى يد الفراعنة والكهنة لتسخيرهم هذا التسخير وتقديم آلاف الضحايا للقيام بنقل الأحجار الهائلة فى ذلك الوقت الذى لاتوجد فيه الرافعات الحديثة والإمكانيات التى لدى الإنسان الآن .

ظلت الآلهة هى القوى المحركة والمسلطة على طاقة الإنسان وكان الفن هو طلب الآلهة فأبدع إنسان النيل ليرضى هذه الآلهة وقامت المعابد فى سمنة وبوهين والبركل . . وبقايا آثار البركل تكشف لنا روعة فن النحت والبناء الذى يكاد لايوجد عند إنسان عصرنا بل يكاد فن النحت لايوجد عندنا الآن لا بتلك الروعة ولا بأقل منها لانحطاط هذا الفن من عصور ساحقة قديمة منذ ظهور المسيحية الى وجدت الحضارة الفرعونية قد وقف نموها فى مصر وغابت عليها الحضارة الرومانية وحلت محلها إلا من المجاورين للمعابد القديمة والذين حافظوا على عباداتهم الوثنية ولكن رعاية الملك لها وتسخير إمكانيات الدولة المادية للارقى بها قد وقف . وكذلك الحال فى السودان بعد أن سقطت حضارة الفروعنية فى مصر تحت إقدام الحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية التى تقلبت عليها . ووقفت عندها حركة التقدم الفنى ، وأصبحت المعابد القديمة كافية لقضاء العبادات وقلت حمية الناس للعبادات بعد أن سقطت مدائن آلهة عباداتهم تحت تأثير عبادات أخرى كما قلت نزعة الملوك لتسخير الناس البناء والتعمير حتى قلت الأيدى الماهرة ، وضعفت عند الناس الرغبة فى صنع الآلهة بنفس الحماس القديم حتى جاءت المسيحية لتنهى عبادة الأوثان ، وهى تعلن بمذهبها الجديد إيقاف صناعة التماثيل والمعابد ومات فن النحت فى السودان ، وانتشرت الأيدى على طول النيل وانتشرت تعاليم المسيحية تحرم عبادة الأوثان وبذلك وقف فن النحت فى السودان ويمكن أن نؤرخ لبداية وقوف هذا الفن من القرن السادس الميلادى بأيمان ملك علوة بالمسيحية . وبأيمان المسيحية فقدت

العبادات الوثنية ممثلها وهو الملك والذى كان يجبر الناس على إنشاء التماثيل وقيام المعابد . . .

وربما ظل بعض الأفراد على عبادتهم الوثنية يصنعون تماثيلهم الصغيرة ولكن هـــذه الحالة لم تكن كافية للاحتفاظ بالفنون التى نشأت فى حضن العبادات الوثنية .

جاءت المسيحية ولم تؤثر فى الحياة العامة كثيراً مثل تأثيرها على إيقاف تطور الفن جاءت المسيحية وعادات أهل السودان القديمة ما زال منها بقية حتى الآن ولو نحن تابعنا ما قاله هيردوت الذى وصل إلى جنوب مصر فى القرن الرابع الميلادى وما سجله عن عادات وأخلاق أهلها التى لا تختلف فى كثير من عاداتها عن عادات أهل السودان على أرض النيل .

عادات أهل مصر فى العصر الفرعونى

إن معظم اخلاقهم وعاداتهم مناقض تماما لاخلاق وعادات غيرهم من البشر فنساءهم الاسواق ويتاجرون ، بينما يمكث الرجال فى البيوت أمام الأنوال وبينما يتبع بقية العالم فى النسيج أن تكون اللحمة فوق السـداه فأن المصريين يجعلونها اسفلها . كما إن النساء يحملن الاثقال فوق اكتافهن بينما يحملها الرجال على رؤوسهم . ويتناول المصريون طعامهم فى الطرقات خارج بيوتهم ويأوون الى بيوتهم للأغراض الخاصة وحجتهم فى ذلك أن العمل غير اللائق والضرورى فى وقت واحد يجب أن يتم فى سرا أما الأمور الخالية من أى شىء غير لائق والضرورى فيجب أن تحدث فى الطرقات علنا ومحظور على المرأة الاشتغال باعمال الكهنة سواء للألهة أو للربات فى حين يقوم الرجال بوظيفة الكهنة لكليهما، ولا يلزم الابناء بكفالة والديهم الا باختيارهم — أما البنات فملزمات بذلك سواء كان هذا برضاهن أو على كره منهن .

يطيل كهنة الدول الاخرى رؤوسهم أما كهنة المصريين فيحلقون رؤوسهم ومن العادة فى جميع بلاد العالم أن يحلق الناس شعورهم حداداً على الاقارب اما المصريون الذين من عاداتهم أن يحلقوا رؤوسهم فى الحالات العادية فيتركون لحاهم وشعورهم ورؤوسهم تطول عندما يموت قريب لهم ويعيش الناس فى البلاد الأخرى بمعزل عن الحيوانات ولكن المصريين يعيشون دائما مع الحيوانات وتتغذى الشعوب الاخرى بالشعير والقمح بينما يعتبر المصريون ذلك عارا أى عار ويتغذون بالذرة الهندية التى يطلق عليها البعض إسم زيا ويعجنون الدقيق بأرجلهم أما الطين فيخلطونه بايديهم كما يحملون القاذورات والتراب بأيديهم ايضا وهم الشعب الوحيد فى العالم الذى يعرف الختان ومن يعرفه من الشعوب الاخرى

فقد تعلمه من المصريين ويلبس رجالهم ثوبا من قطعتين إما ثوب النساء فمن قطعة واحدة كما يلبسون الخواتم ويربطون حبال الاشرعة من داخلها إما غيرهم فيربطها خارج الشراع . ولا يكتبون كالاغريق من اليسار إلى اليمين بل من اليمين الى اليسار ورغم من هذا يصرون على أنهم يتجهون نحو اليسار ويتخذون نوعين من الكتابة ويطلقون على أحدهما اسم « المقدس » وعلى الثانى اسم « العادى » .

ويتمسك المصريون بدينهم الى درجة بالغة ويتلون المراسيم اكثر من أى شعب آخر ويتبعون هذه المراسيم - يشربون فى أقداح نحاسية .

ويحلونها كل يوم ولا يشذ عن هذه العادة أحد قط فيلبسون ثيابا من التيل يحافظون دائما على أن تكون منسوجة حديثا ويزاولون الختان بقصد النظافة مفضلين أياها على حسن المظهر . ويحلق الكهنة جميع جسمهم كل يومين حتى لا يعلن به القمل والاقذار الاخرى . وهم يقومون بخدمة الالهة . وثيابهم كلها من التيل وأحذيتهم من نبات البردى ولا يصلح لهم أن يرتدوا ثيابا أو أحذية من مادة أخرى غير هاتين ويستحمون مرتين يوميا بالماء البارد ومرتين فى كل ليلة وعلاوة على هذا العادات لهم الاف من العادات الأخرى .

وقد استرعى هيرودوت عدم تعفف الفلاح المصرى فى السكن مع أغنامه . وجميع روثها بأيديه والاستفادة منه . وخلط الطين بأيديهم . كما قال أنهم الشعب الوحيد الذى يعرف الختان وهذه العادات التى مرت عليها آلاف السنين تكاد تجدها عند الفلاح المصرى ، وعند معظم سكان السودان إن كان خاصاً بالختان الفرعونى الذى ما زلنا نحتفظ به فى الأقاليم أو غيره . وهى لا تدرى ما هو تاريخه أو ماضيه .

بقاء معظم هذه التقاليد القديمة والتى لا تساير التطور ولا تعاليم الأديان . تكشف لنا عن حقيقة هامة وهى أن إنهزام الحضارة الفرعونية لم يكن إنهزاما لكل عاداتها وأخلاقها . . كما يكشف لنا أن تعاليم الكنيسة التى دخلت قبل الإسلام لم تكن بالتوسع والانتشار حتى تطور تلك العادات والتقاليد . وكان يجب أن يحدث هذا . أن تضيف الأديان إلى حضارة الشعوب ثقافة وفكرا وبعثا ، والذنب ليس ذنب المسيحية أو دعاتها أو رسلها الذين دخلوا السودان ولكن ظروف هذه الدعوة فى السودان والاحداث الخارجية فيعد قرن من دخول قبابها للسودان وظهر الإسلام ناسخا لكل الديانات ، وأصبحت مصر دولة إسلامية ، وانعزل السودان عن حركة المسيحية فى العالم حيث كان لها سند عالمى لنشرها والدعوة لها بعد أن استقرت فى شرق البحر الأبيض واعترفت بها قياصرة الروم .

جاء الإسلام إلى أرض النيل والمسيحية ما زالت فى مهدها فى السودان تمارس تعاليمها بصعوبة فائقة ، فكتبها باللاتينية والقبطية بخلاف لغة أهل السودان وكتبهم المروية القديمة . وتخريج رهبان من أهل السودان كان يتطلب زمنا ليس بالهين ودخول الدعوة المسيحية عليهم ليس بالأمر اليسير ، ولكن رغم ذلك لايمان ملوك دنقلة وعلوة بالمسيحية ، توسعوا فى إنشاء الكنائس وقامت الأديرة بجوار الكنائس . لكن الدير فى السودان حسب ظروف دخول المسيحيين لم يجذب الناس اليه كما كان فى مصر . فقد اضطهد المسيحيون فى مصر حيث دفعهم الاضطهاد لاخذ اسلوب خاص فى العبادة . . اما فى السودان فقد دعى ملوك علوة ودنقلة لهذه الديانة . فكان أمرهم اصعب لنشر الدعوة ثم ترغيب الأفراد فى أخذ حياة الدير كنوع من السمو فى العبادة .

عملت الديانة المسيحية على تحرير العقل السودانى من تسلط الملوك

والكهنة والعبادات الوثنية وفتحت له الحياة من جديد ليأخذها بمفهوم جديد بخلاف ما توارثت عليه الأجيال . ولكنها عجزت أن تقف بجانبه وتسد له هذا الفراغ الكبير الذى حدث فى عقله بعد عبوديته لتلك الأوثان والتفكير فيها لم تكن إمكانيات المسيحية بالقدر الذى يتيح لها أن تعلم الناس جميعها تعاليمها أو اللغة الجديدة التى جاءت بها الديانة .

* * *

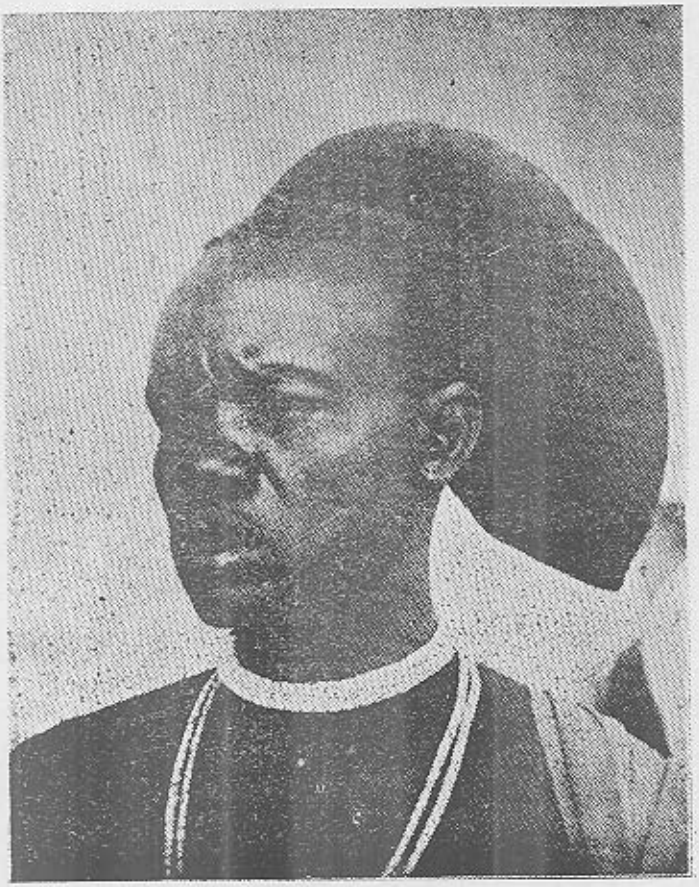

أحد أفراد قبيلة الشكل التى أمتد نفوذها فى العصور القديمة إلى أرض الجزيرة . .

الزينة كانت من أجل الأشياء المحببة إليه . . تكشف عن طبع رقيق رغم الصرامة البادية عليه .

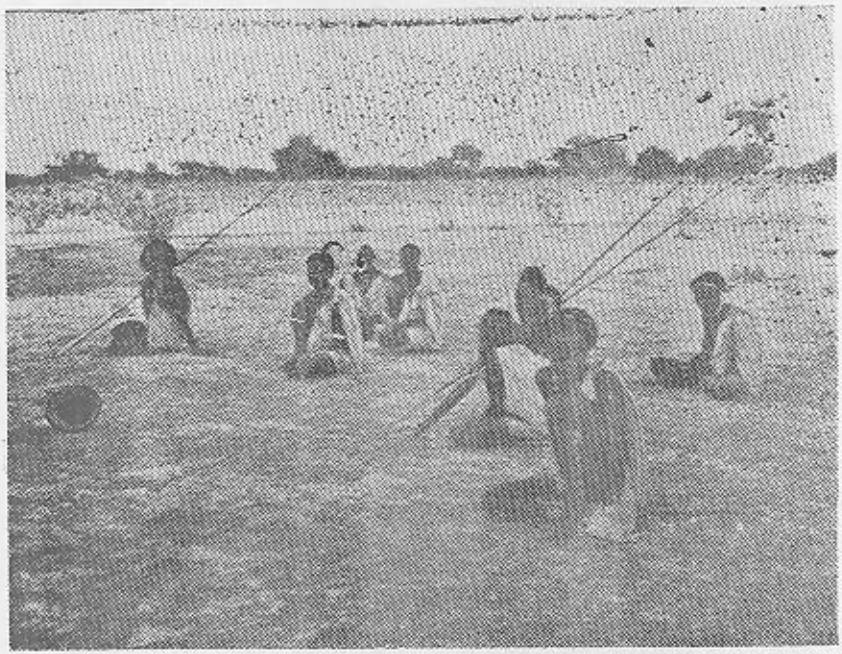

التقاليد الافريقية عريقة قديمة لها قداستها واحترامها . . أفراد من قبيلة الشلك في زيارة لاحد القرى . . يجلسون خارج القرية قبل دخولها.

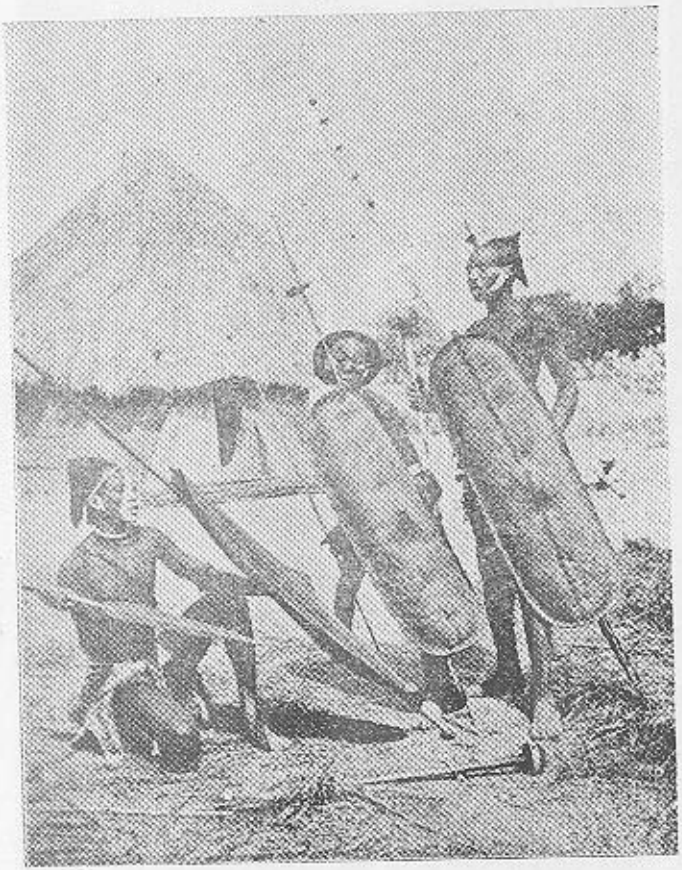

استخدام الألوان والحركات الرياضية استعداداً للحرب والرياضة.

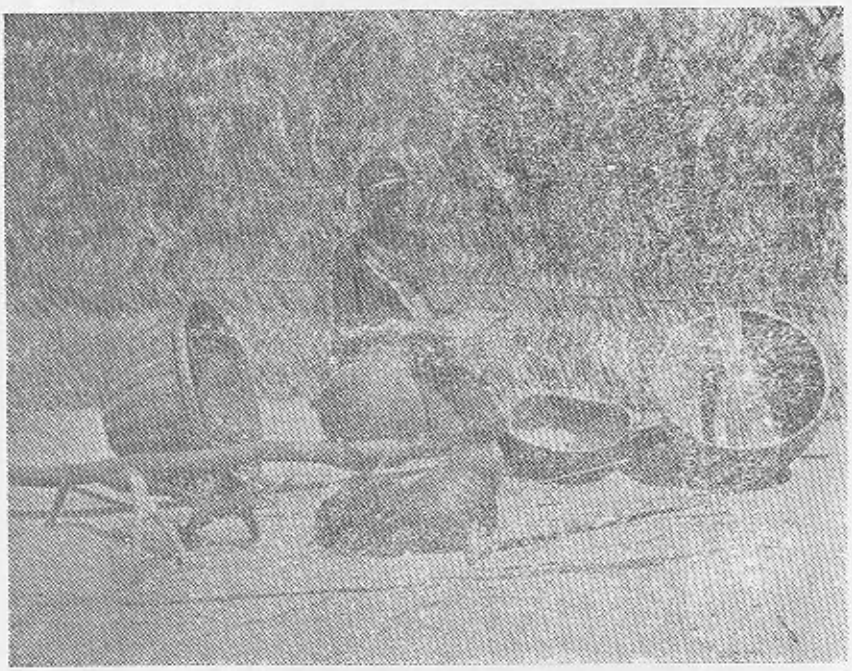

يد الانسان كلما لمست شيئاً جعلته جميلا .والإنسان بطبعه لايترك الطبيعة كما هى . . أنظر إلى أدوانه المنزلية ومحاولة الشبك خلق شيء مقبول الشكل .

الكنيسة وماقدمته للحضارة فى السودان

وقبل الاجابة على هذا السؤال يجدر بنـــا العودة إلى نشأه الكنيسة فى الاسكندرية ووادى النطرون وعاسكة نوباديا ونشأه الأديرة والنظم الكنيسيه فى مصر والعالم الذى استنار بخبرتهم وتعاليمهم :

بعد الاضطهاد الذى وجده المسيحيون بمصر ومحاربة أباطرة الاسكندرية وقياصرة الروم للمسيحيه وقتل كل مايعتنق هذه الرسالة التى تخالف تعليم آبائهم وآلهتهم لجأ معظم المسيحيون إلى الجبال والوديان والكهوف للعبادة والتقشف سالكين فى ذلك مسلك المسيح وحياة الوحده والصوم والصلاة جعلتهم مثلا يحتذى به بين الأفراد المسيحيين وأوضح ذلك فى رسالة بولس الرسول إلى الكورنثيين حيث تضمنت رسالته إليهم تفضيله لهذا النوع من الحياة وإن لم يكن أمراً لهم ولكنهم كان دعوه لأفضل الطرق للحياة المسيحيه كما تصورها حين قال (إنى أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (أى اعزب) ولكن لكل واحد موهبته الخاصة من الله الواحد ، هكذا والاخر هكذا ولكنى أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم اذ لبثوا كما انا - أذن من تزوج فحسنا يفعل ومن لايتزوج يفعل أحسن .)

وبهذا المفهوم للعبادة خرج المضطهدون فى المسيحية من المدن المصرية إلى الصحارى والجبال ولم يكن فى خلدهم إنهم بهروبهم هذا والتجاءهم للوحدة من الظلم والبطش والعيش على الكفاف سيخطون المبادىء العامه للحياة المسيحية ورجال الكنائس فى المستقبل .

فقد كثر عدد الرجال المحبين بالجبال يؤدون صلاتهم وصومهم وشعائرهم

الدينية كل فى ادى منفرد بعيداً عن الآخر .

وقاد الضغط والارهاب إلى إزدحام هذه الاودية ومنها وادى النطرون وجبل نتريا وسليا وبرية شيهيب والصحراء الشرقيه وسينا والصعيد حتى وجد هؤلاء النساك الزاهدون فى الحياة فى وقت ما أنهم قد ملأوا الاودية والصحارى بعضهم فى النسك والعبادة أن دفعت بالكثيرين الذهاب إليهم لتعليمهم حياة النسك والوحده والعباده . وكانت هذه أول خطوة لميلاد تعاليم النسك والرهبنة فى العالم وأزداد عدد المسيحيين الهاربين كما راجت سيرة هؤلاء النساك من الذين يذوا الآخرين فى هذا السلوك وجعلوهم مثلا أعلا للراغبين الذين إلتفوا حواليهم طلباً للتضحية والارشاد لترويض الجسد على تحمل الجوع والتقشف وتكران الذات والشهوات الجسدية .

وكان وادى النطرون هو أول مدرسة يجتمع فيها هؤلاء التلاميذ حول المشائخ من النساك ليخطوا تعاليم المسيحية ومستقبلها .

ومما يذكر إن القديس أنطونيوس (٢٥١ — ٣٥٦ م) هو المنشىء الحقيقى للنظام الرهبانى بعد أن مهد له ماسبقه من النساك .

فقد ذهب الشاب أنطونيوس إلى الكنيسة فسمع الكاهن يتلو من الانجيل ، ولكن أية واحد وقفت فى نفسه وملكت عليه فكره وهى (إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع كل مالك وأعط الفقراء وتعال أتبعنى فيكون لك كنزا فى السماء) فما كان منه إلا أن عمل بما جاء فى الاية وباع ممتلكاته وقسمها للفقراء وخرج إلى مكان قريب من قريته وبنا له كوخاً إلى جوار الشاطىء يدرب نفسه

على حياة النسك والعزلة . . ولكنه لم يقم بهذه المنطقة طويلا لوجود كثير من النساء بالقرب منها . فرحل إلى المقابر ثم فى حصن مجهور فى منطقة يسمير على الضفه الشرقية على النيل . . وكان يمده بعض الناس بالخبز الجاف ثلاث مرات فى العام دون الاتصال به وجذبت شهرة القديس انطونيوس كثير من التلاميذ اليه ولكنه لم يقم فى هذا المكان طويلا فقد أشترك فى تشجيع المستشهدين والمسجونين الذين لفوا حتفهم حين هدمت الكنيسة ولقى المسيحيون أكبر مجازر القتل والاستشهاد ثم ارتحل القديس إنطونيوس إلى الصحراء الشرقية - وهناك بجانب الصحراء والوحده شغل نفسه بالزراعة . . ووجد القديس أنطونيوس بعد زمن وجيز أن المنطقة قد امتلأت بالهمش والأكواخ من تلامذته الذين لم يروا أن يبعدوا عنه . . فاضطر إلى الرضوخ لرغبتهم ليزودهم من تجاربه فى حياة النسك والوحدة وهكذا كانت المسيحية فى مرحلتها الأولى هو إكتشاف الأسلوب المناسب لترويض الجسد والروح للعبادة ، فرضته ظروف الظلم والاضطهاد الرومانى للمؤمنين ثم طور هذا النظام الراهب بياخوسيوس الذى إشترك فى الحملة التى جردها الامبراطور قسطنطين الإخضاع والى الحبشة المتمرد . ولما عاد بياخيوسيوس من الحملة ذهب إلى قرية تابنيس قرب قرية فنا ومالبث أن أجتمع الرهبان حوله وبدأت لاول مرة حياة الشركة الجماعية للرهبان وحاول بياخوسيوى إلى خط تعاليم ونظام لجماعته . وسمى المكان الذى أجتمع فيـــه جماعته من الرهبان باسم الدير . وفى داخل الدار وضع لهم بياخوسيوى نظاماً دقيقاً لحياه الرهبان وأول هذه الواجبات الطاعة العمياء للرئيس . ووسع هذا الدير حتى وصل عدد الرهبان به إلى الفين وخمسمائة عاشوا حياة جماعية لاول مرة فى حياة المسيحية وبدأ التوسع فى الاديرة على نظام هذا الدير الأول .

ونظم الآباء بياخوسيوس الخدمة فى داخل الدير بين جماعته كل حسب قدرته الجسمية منهم الخبازين والطباخين والسفرجية والخدامين والبوابين من الشيوخ

الورعين وبيت للضيافة يشرف عليه راهباً ورعاً يستقبل الراغبين فى حياة الدير وحتى يمتحنون ويثبت صلاحيتهم لهذه الحياة فى فترة أختبار لمدة ثلاث سنوات وجعل لكل دير راهباً مشرفاً مالياً عليه

ودخلت الدير اللغتين القبطية والأغريقية حتى تيسر للمجتهدين الأطلاع والدراسة حتى تؤهلهم لمراكز قيادية فى حياتهم الدينية والعلمية وظهر كذلك دير النساء وقد تكون من اخوات هؤلاء الرهبان الذين حاولوا أن تشارك المرأة فى هذه الحياة الديرية حتى تسمو بتركها لمدات هذه الدنيا من أجل الحياة الاخرى ...

أما الحياة الداخلية للراهب فكان معناها الفقر والتقشف حيث تقول الاية (أنظروا إلى طيور السماء فأنها لاتزرع ولاتحصد ولاتخزن فى الاهراء وأبوكم السماوى يقوتها)

وقول السيد المسيح فى الاغنياء الحابسين أموالهم عن فعل الخير .. (دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات) وكتب بولس الرسول ينصح العبرانيين ، لتكن سيرتكم خالية من صحبة المال وكونوا مكتفين بما عندكم .. لأنه قال لاأهملك ولا أتركك) ولكن هذا الكراهية للمال وتكديسه لم تحافظ عليه الكنيسة فى العصور التى تدخل فيها التاج فى أوربا فى ترشيح رؤساء الكنائس ودخلت الكنيسة مرحلة الإقطاعيين فى العصور الوسطى كما كان فى أوربا وكنيسة الحبشة أما فى السودان فلم تتطور الكنيسة لهذا الوضع الأقتصادى رغم أنها بدو كانت فى حالة مالية حسنه بالنسبة لعدد الكنائس التى قامت فى شمال السودان ومدينة سوبه التى وصلت فيها إلى عدد هائل وصاق جميلة ورائعة .

وتقضى الحياة اليومية عند الرهبان وهى الأساس لتطوير الفكر الدينى وتأثيره على المجتمع بالقواعد الاتية:- ومن اول هذه الواجبات الصمت والانفراد والصلوات ويقول النظام الذى وضعه القديس مكاريوس الكبير (إذا بلغت الساعة الثالثة (حوالى الساعة التاسعة صباحا) فقف قدام الصليب وأجمع افكارك فى فهم القراءة التى قرأت وأسجد بتخشع لربنا بوجع ودموع ، ليعطيك فهم مزمور داود وإذا أبتدأت بالقراءة فلا تستعجل بل أفحص المعرفة الخفية فى المزامير وإذا إكملت صلاة الساعة السادسة كالعادة والقانون المرضوع عن الاباء أقرأ كتاب الآباء إلى الساعة السادسة (منتصف الليل) وأفهم ماتقرأه ثم ضع الكتاب وقدم التسبيح وأسجد قدام الصليب وأنظر يعقلك إلى يسوع المسيح ومن السادسة إلى التاسعة (الثالثة بعد الظهر) إن كان لك عمل يدوى فأصنع ماتريد ولا تترك قانون الطانيه (السجود ، من أجل عمل يديك لان الاباء عملوا فى الفلاية بمخافة الله من غير شره)

ومن هذا يتضح لنا إن الصلاة والصمت والتفكير والتأمل والانفراد كانت من أهم واجبات الراهب وعدم شغله بالحياة العامة ... إنما التفكير فى الخطية الكبرى ومحاولة تبع حياة تأملية شغلت الرهبان عن مجريات الامور خارج عالمهم والمشاركه فيه وعدوا نفسهم أفضل العباد بهذا السلوك وها يعنينا فى هذا السلوك هو التوسع فى التفكير الدينى الفلسفى أما عدا ذلك فقد كانت الصلوات والمزامير أفضل منه .. والكتب الدينية كانت أفضل منه دونها من الكتب ولذلك كانت مكتبات الإديرة فقيره من الثقافة العامة وأمتلأت بالكتب الدينية وهذا لاينفى وجود الكتب التاريخية والادبية ولكنها لم تكن تجذب الرهبان مثل الصلوات والمزامير الا للذين أرادوا أن يتزودوا من معارف الدنيا وأنشغلوا بأمور علمية داخل الاديرة وشغفوا فى حبهم للعلم للاستقطاع من وقت صلاتهم للاطلاع والقراءة . الأمر الذى أخرج من الكنيسة الاوربية فى

العصور الوسطى رجالا منها ذو فكر ثاقب ثاروا على جحـــود تعاليمها وخضوعها لملوك أوربا وثورتهم على موقف الكنيسة من مشاكل العصر حين تعرضت الشعوب الاوربية لظلم وبطش الأمراء والملوك والاقطاعيين فى أوربا ورأت الكنيسة أن عذاب الجماهير نوع من الرياضة والتكفير عن الخطايا وأنه مفيد للحياة الانسانية المليئة بالخطية ولم ترى فى جرم الاقطاعيين غير تركهم لعقاب الاخرة ولم تحاول أن تقف موقفاً إيجابيا لايقاف هذا الظلم الأمر الذى قاد لظهور موجة الالحاد فى القرن الثامن والتاسع عشر باتخاذ . . الكنيسة الخاضعة لسلطان الملوك الاقطاعيين هذا الاسلوب السلبى من الجياع والمشردين والمعذبين من بنى الانسان فى حين تعيش هى التى تدعو للتقشف حياة اقطاعية ونسيت الآية التى تقول : (لاتحبوا العالم ولاشيئا مما فى العالم فمن أحب العالم فليست فيه محبة الله) وأسكتوا الجياع والعبيد بهذا المفهوم ولم يحاولوا هم أن يتجردوا من اقطاعيتهم ولم يحاولوا أن يجردوا الاقطاعيين من أملاكهم ويقنعونهم ببطلان الحياة .

المسيحية فى السودان

كان لرهبان وادى النطرون أثر كبير في حياة المسيحيين

كانت الفترة من القرن الاول لظهور المسيح إلى القرن الخامس والسادس فترة خصبة فى حياة مصر بين صراع المسيحية وعداوة القياصرة الرومان وبين اصرار رواد المسيحية الاوائل وتحملهم العذاب والصمود أمام التعذيب والتشرد وضرب أروع الأمثلة فى الإيمان والتقشف والتواضع وسلوك روادها الاوائل الهادى المتواضع جعل لهذه الديانة قوه سحرية بين عامة الناس وبين التضحيات التى قدمها أبناء الاغنياء من الاسراره الكبيره ولبسهم الوبر وا لعيش والصيام عن الأكل وتحمل العذاب كل تلك الصور كانت تسبق المسيحية إلى الأراضى التى لم تظهر فيها وقدم الاقباط فى مصر لهذه الديانة أروع الامثلة وخرج منهم نفر كان له الأثر الكبير فى الدفاع وبقاء هذه الدعوة على أرض النيل .

ظهرت المسيحيـة فى مصر وهى ترزخ تحت بطش قيـاصرة الروم وأنتشار ديانتهم وحضاراتهم وسلطتهم تملاء أرجاء مصر . ظهرت هذه الديانة والرومان معتزون بمجدهم وحضاراتهم وفنونهم وآلهتهم قد أثرت هذه الديانة التى جاء بها رجل بسيط . بسيط فى كل شىء فى ثيابه ومساره وحديثه وأفكاره وأمثلته جاء هذا الذى يشبه الراعى فحطم آلهـة هؤلاء المغـرورين بديانتهم وآلهتهم . . . هؤلاء الذين كانوا يظنون أنهم أسياداً على كل الدنيا وأنهم أفضل المجموعات ... يتجرأ رأعى بسيط ويقيم ديانة جديدة تدعوا إلى آلهة غـير الهتهم ويجرؤ إلى تحطيم الهتهم وعدم الاعتراف بها . وبهذا المنطق صب قياصرة الرومان جام غضبهم وبطشهم على كل من يجرؤ للاقتراب من هذه الديانة الجديدة . ولكن

الرسالة كانت أقوى من بطش القياصرة والايمان بها كان يسعد بالتعذيب . . . كانت مثل هذه القوة المقابلة تصل للمسحيين من البسطاء الارقياء كافيا لخلق أروع أمثله الاستشهاد . الصبر على الاذى ورفع المؤمنين درجة عاليه من الايمان والاعجاب بين عامه الشعب .

أحتلت مصر وكنيسة الأسكندرية ورهبان وادى النطرون مكانة سامية فى تاريخ المسيحية . وكان لهم فضل كبير فى حفظ المسيحية بعيداً عن بطش قياصرة الروم فى أقصى الظروف حتى وضعوا لها من التقاليد ما بات منهجاً حتى اليوم وجزءاً من تعاليم المسيحية كما اضاف رهبان وادى النطرون فكرة الدير و حياه الكنيسة وادخلوا دير الراهبات وكذلك لعبوا دوراً كبيراً فى الصراع الكنيسى الذى قام بين كنيسة الأسكندرية وكنيسة القسطنطينية وكنيسة روما حتى كان هذا الصراع سبباً كافياً لجذب الانتباه للمسيحية والتفكير فى هذا الصراع الذى دار بين كنيسة القسطنطينية التى أدعت أن المسيح على لسان تسطوريوس أسقف القسطنطينية فى تلقيبه للسيدة العذراء بوالدة الالهة وأن المسيح شخصان متباينان يعمل كل منها مستقل عن الاخر أحدهما آلهى وثانيهما إنسانى فتصدى لانسطوريوس الأنباء كيرلس الأول بابا الأسكندرية الرابع والعشرين وأعلن فى توكيد أن المسيح شخصية متكاملة جمع فيها بين اللاهوت والناسوت جمعا لاإختلاط فيه ولا إمتزاج ولاتغيير ووقف بجانب الانبا كيرلس رهبان وادى النطرون .

وخرج الرهبان من المعتصبين بالجبال والأوديه للدفاع عن عقيدتهم وارتفع شأن مصر وعلى أسم رهبانها بين كنائس العالم وأصبحت مزاراً لرهبان البلدان المختلفة وخرج منها رهبان إلى كل الشعوب أثروا فى منهج المسيحية وسلوك روادها وابتدعوا لهم المثل الأعلى لعبادة الدير وأعطوهم من تجاربهم الكثير .

وقد كان صعيد مصر وواحاتها ملجأ للرهبان من أيدى البطش والتنكيل وظهر الرجال البسطاء العزل المتغشفين بين السفوح والوديان بين القبائل النائية . . فكان منظر هؤلاء الرهبان حافزاً كبيراً لجلب كثير من الانصار للمسيحية . . وكسب عطف الناس على هؤلاء المساكين ...

لقد كانوا فى حاجة لكل عون إنسانى وقد أحبوا الله فى أجمل صورة . . . ولذلك لم يجدوا أى معاملة قاسية من الجماعات التى ينزلون عندها أو يقابلونها ووصل منهم البعض لشمال السودان فقد كانت مملكة نوباديا شمال دنقله مركزاً هاما من مدارس الرهبان .

لقى المسيحيون الكثير على أيادى قياصرة الاسكندرية وابيد المسيحيون بمجموعات كبيرة وكأن الهروب هو الوسيلة الوحيدة لهم ولما كان شعب السودان له ذا علاقة طيبة بهم لم يضهد الفارين من مجازر القياصرة وما فعله الملك دوقيوس قيصر عام ٣٤٩ م من مجازر ومطاردة للمسيحين والرهبان كفيل بأن يضطر هؤلاء العزل للهروب إلى الوديان والجبال والكهوف حتى اراحهم الله من هذا العذاب باعتناق قسطنطين الأكبر ٢٩٥ م. للمسيحيه وجعلها دين الحكومة بعد بطش الامبراطور دقلديانوس ٢٨٤ م بأهل مصر لتمرد واليها عليه فقفل الكنائس وأحرق الاسكندرية واجبر الناس على عبادة الاصنام وعرف عامه بتاريخ الشهداء وهو تاريخ السنة القبطية .

وأثر رهبان مصر فى نشر المسيحيه وخرجو إلى كثير من بقاع العالم بعد أن عمت المسيحيـة مصر وأصبحت دين الدولة ومن هؤلاء الرواد الرهبـان الذين تتلمذوا على رهبان وادى النطرون القديس أوغسطين الذى ترك روما عام ٣٨٨م قاصداً شمال أفريقيا ونشر المسحية فى الحبشة والشاطىء الأفريقى .

وأول ما أسسها بمدينة هيبو حيث عين قساً لها عام ٣٩٦ م فخط الحياة الرهبانية وبعث المسيحية بين شعب شمال أفريقيا ونقل اليهم نظام الدير للرهبان والراهبات حتى كان زمن بسيط عمت المسيحية شرق أفريقيا والحبشة .

وقد ظل السودان بعيدا عن هذه الدعوة إلا من التجأ اليه من المسيحيين حتى ظهرت المسيحية بين سكان النوبة وشمال السودان .

وأخذ الصراع المسيحى يقل بعد أن أصبحت المسيحيه دين الدولة بين مذهب كنيسة الأسكندرية الأرثوذكسية ومذهب كنيسة روما ... وكان من مظاهر هذا الصراع تنافس الأمبراطور جستنيان (٥١٧ - ٥٦٥م) وبين زوجته ثيودورا التى كانت تتبع الكنيسة القبطية . فقط سمعت أن زوجها قد كلف البطريك تيودوسيوس لنشر مذهب كنيسة روما فى أرض النوبا والسودان وحيث كانت الكنيسة القبطية هى صاحبة الشأن فى مصر .. علمت ثيودورا بنوايا زوجها وأتصلت بالاسقف لونجينيوس ليكون أسقفاً على بلاد النوبة وينشر المذهب الارثوذكسى قبل وصول البطريك (ثيودوسيوس)فى عام ٥٦٩ م

وقد نجح رسول الملكة ثيودورا فى الوصول إلى النوبة قبل صاحبه حيث قفل الطريق أمامه للتقدم فى أرض النوبة ..وقد وجد هذا المذهب الارض ممهدة لقبول هذه الدعوة فقد كان رواد الكنيسة الاوائل يجوبون هذه المناطق وكانوا يلجأون اليها للاحتماء بها بجانب اخبارهم التى وصلت إلى هذه المنطق وأستعد الناس لقبول هذه الديانة الجديدة وهم يرون ديانتهم الفروعونية قد طمستها الديانات الرومانية ثم جاءت هذه الديانة الجديدة بصورة غير التى ألفوها وسمعوا بأنتشار هابين سكان مصر . . . فقلت عصبتهم لديانتهم القديمة وباتوا فى إنتصار هذه الدعوة الجديدة ... وقد كانت شخصيات هؤلاء الرهبان هى الدعاية

الطيبه لهذه الديانة بين هؤلاء القوم الوثنيين عباد آلهة الفراعنة ، وكما نجح أوغسطين فى (ببو) ، وانتشار المسيحيين فى الحبشة نجح هؤلاء فى شمال السودان وقد اعترض حكام المقرة لونجينيوس مبعوث المذهب الأرثوذكسى حتى أضطر إلى الابتعاد عن النيل وسلك طريق القبائل البجاوية فى الشرق حتى وصل إلى مملكة علوة وعمد ملكها وأفراد أسرته وحاشيته عبادا للمسيحيه .

أنتشرت المسيحيه فى مصر على أكتاف عامة الناس وقد إشترك الاقباط فى نشرها وظهور المذهب الارثوذكسى .. وحيث كانت اللغة الاغريقية لغة الأنجيل فقد كان تعلم هذه اللغة ليس متيسراً للكثيرين ولكن إنتشار هذا الدين المسيحى دفع لتعلم هذه اللغة فى حين حلت اللغة القبطية فى نشر هذه الرسالة .. وبهذه اللغة أدخلت المسيحية السودان وأصبح تعلم هذه الديانة والتعمق فيها يتطلب تعلم هذه اللغة واللغة الإغريقية الأمر الذى كان شاقاً على السودانيين...

وكانت مهمة تعليم الرهبان من الافراد السودانيين فيه ، كثير من المشقة ويبدو أن هذه الدعوة لم تقف امامها هذه الصعاب فانشأت الكنائس بعد إيمان ملك علوة والمقرة وحكام الأقاليم فى شمال المقرة وجنوبها حتى حدود مملكة علوة وأرض الجزيرة وقامت الأديرة التى كانت المدرسة الأولى للحياة المسحية وتخريج رواد صبورين ذاع شأنهم فى الفيافى والسهول وظلت المسيحية تتقدم فى السودان وتجد المساعدة من تنافس كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما وأرسال المبعوثين من لرهبان وتعميد بطارقتها حتى دخلت مصر فى الفتح الاسلامى بدخول عمر بن العاص إلى القسطاط عام ٦٤١م ودخل الاسلام منافساً حديدا للديانة المسيحية . فآمن معظم الناس بالرسالة الحديدة التى كفلت حرية الديانة المسيحية وأعطى عمر بن العاص الضمان لبطريق الاسكندرية وعدم التعرض لكنائسه ورعاياها وقدم لهم المساعدات ... ولكن هذا الدين المنافس الجديد الذى ظهر فى الجزيرة العربية ووصلت أخباره إلى شعب مصر والروايات التى وصلت عن النبى عليه الصلاة والسلام جعلت عدداً كبيرا من الذين لم يؤمنوا بالمسيحية يميلون إلى هذا النبى الجديد الذين لم يفقهوا الإنجيل يميلون إلى هذا الدين السهل البليغ .

كان دخول الاسلام مصر يعنى الحد من تقدم المسيحية والاحتفاظ بمواقعها كما يقولون وزحفت القبائل العربيـــة وخرج الرومان من مصر وابتعد شبح الامبراطورية وقلة سيطرة الدولة فى نشر الديانة المسيحية وأقام عمر بن العاص جامع عمرو وأقيمت الجوامع فى المدن الكبرى ودخلت مظاهر الاسلام على ضفاف النيل وزهد الرهبان فى هذه الأرض المقفولة وفضلوا العمل فى أديرة غرب أوروبا وآسيا حيث فقدت المسيحية مساندة الدولة وتعضيدها رغم إنها لم تقف معارضة منها .

وبذلك دخل السودان فى المسيحية فى القرن الثالث والرابع والخامس فى شكل رهبان هاربين أو افراد لاجئين حتى كان القرن السادس فقبلها حاكم علوة والمقرة .

ولم يمضى قرن حتى دخل الاسلام مصر وافقاً أمام توسع هذه الديانة بالدعوة للاسلام والأيمان بسيدنا محمد عليه السلام بخاتم المرسلين . .

وبدخول الاسلام إلى مصر زحف العرب على النيل وأرسل عمر ابن العاص قائده عقبة بن نافع عام ٦٤١ م لاخضاع النوبة وقد قابلته النوبة بالقوة ولم يستسلموا له حتى عقد الصلح بينهما ولكن عادت النوبة المسيحية مرة أخرى للتمرد على عهد عبد الله بن السرح فزحف جيش المسلمين عليها ولم يكتفى هذه المرة بتهديد المسيحيين من النوبة المجاورين لحدوده الجنوبية بل وصل إلى عاصمة النوبة المسيحية دنقله وحاصرها وضربها بالمنجنيق عام ٦٥٢ م حتى أستسلم ملكها قليدوروث وعقد صلحاً بين الطرفين لم يمس عباده النوبيين ، كما أنه ضمن سلامة حياة المسلمين الذين يعتنقون الاسلام فى أقامة شعائرهم .

... بعد الانتقال إلى تتبع حياة العرب فى السودان بعد ظهورهم فى مصر وأفريقيا يحق لنا أن نلتمس أوجه النشاط الثقافى والحضارى فى هذه الفترة وما تركته الحضارة الفرعونية والمسيحية . كما رأينا دخلت المسيحية السودان دون حرب أو فرض عليها وكان دخولها تصاحبه بعض العقبات منها اللغة القبطية واللاتينية لغة الاديرة التى جاورت الكنائس التى قامت بكثرة وبسرعة على طول النيل فى صادقا ودنقله والدبة ومروى وكورتى وشمال كريمة عند الشلال الرابع وأنتشرت المسيحية حتى وصلت مملكة سوبا التى قامت فيها أعداداً هائلة من الكنائس الجميلة الرائعة .

دخلت الأديرة السودان وأحتلت ابنية المعابد الفرعونية القديمة وكذلك قامت بعض الكنائس على بقايا هذه الاعمده والمبانى القديمة التى لم تعد صالحة للعبادة الفرعونية . .

وباشرت المسيحية رسالتها فى نشر الدعوة وتعليم الناس رسالة المسيحى فى الحياة إلا أن الزمن لم يمهل هذه الكنائس أكثر من قرن حتى دخلت مصر بجيوش العرب المسلمين وبذلك قطعت عليها فرصة تطورها وازدهارها كما كان فى الحبشة بل إنكمش رهبانها داخل أديرتهم ووقف تطورهم العلمى وانشغل الناس عنها بالدخول فى الدين الجديد الذى بات ينافسها فى أرضها وفقدت الكثير من العطف والمساعدات التى كانت تلقاها من المواطنين وربما فقدت بعض أراضيها التى إقتطعتها لنفسها لعبادة الرهبان وعملهم وكأملاك للكنيسة كما كان شائعاً فى ذلك العصر بأن تمتلك الكنيسة اراضيها الشاسعة وتستغل دخلها للصرف على الرهبان وأوجه تقدمها وشئونها المالية .

بعض الآثار من المخطوطات التى وجدت قريباً من المساجد التى كانت كنائس

اكتشف أنها مخطوطات من الأنجيل باللغة القبطية كما أن الرسومات التى وجدت على صدارة الكنائس تكشف ان الروح القبطية كانت هى الغالبية على الكنائس وأن لم يمنع ذلك فى إنتشار اللغة اللاتينية داخل الاديرة والكنائس ولتعرض هذه الاثار بعد الإسلام لكثير من التخريب أضاع الكثير من آثار هذه الفترة إلا ان عمران سوبه وكثرة كنائسها وأستمرارها فى اداء رسالتها حتى القرن الرابع عشر الميلادى يكشف لنا أن رهبان شمال السودان بعد أن قل عدد المسيحيين بالشمال نزحوا للجنوب كما إن خريجى تلك الأديرة وجدوا فى حياة سوبة الوادعه وحاجة السكان هنالك اليهم وبعدهم عن الغارات دفع الرهبان للذهاب للجنوب وأستقرت المسيحيه فى كنائس وأديرة سوبة فى القرن السادس والسابع حتى قيام دولة الفونج الى وجدت هذه الدولةالمسيحية فقيرة من المعلمين والرهبان .

توغلت المسيحية فى الجنوب فى حين زاد بمرور السنين دخول الدين الاسلامى فى الشمال وبعدت كنيسة علوة الارثوذكسية عن كنيسة الاقباط فى الاسكندرية التى كانت مركزاً هاماً فى الشرق لأرساء المسيحية وتعاليمها ، وتطوير هذه التعاليم والدفاع عنها .. وانقطع خط الصلة بين سوبة والكنيسة الام فى الاسكندرية .

وكانت هناك فى الشرق كنيسة الحبشة الارثوذكسية أيضاً التى كانت تابعة لكنيسة الاسكندرية التى بدأت تفقد الكثير من الرواد الجدد كما أن بعض الحكام من المسلمين لم يتركوا لها الحرية فى حياة الاقطاع التى كانت تعيشها الكنيسة فى أوربا التى وصلت من القوة عن طريق الإقطاع مركزاً مالياً عظيماً حتى باتت هى السائدة داخل ذلك النظام .

أضافت الكنيسة للفنون وحضارة الفراعنة الفنى القبطى واللغة القبطية والفن الاغريقى واللغة اللاتينية التى لم تخرج عن الاديرة بعيدة وتطور الفن داخل الكنائس والاديرة ووقف نمو الفن والحضارة الفرعونية إلا ان التقاليد الفرعونية لم تزول فى مياه الناس وذلك لضعف رسالة المسيحية التى لم تجد المعلمين والاكفاء بالقيام برسالتهم بين المواطنين ومحاربة تلك العادات الوثنية .

ونحن إذا أردنا أن نتتبع تطور المجتمع السودانى فى القرن السادس الميلادى حتى القرن الثامن عشر فلن نجد أى مخطوطات غير آثار لم تنطق بعد ولم تكشف تاريخ هذه المرحلة غير أننا يمكن الاستعانة بما خلفه بعض الرحالة — بعض المواطنين من مخطوطات بمعرفة الحياة الاجتماعية وسبل كسب العيش وتكوين المدن ونجد ذلك فى مخطوطة ودضيف الله وهى تكشف لنا حالة الصوفية والنشاط الاسلامى الذى قام على اكتاف لرجال الصالحين والصور الغريبة والروايات المبالغ فيها عن الخوارق التى كان يأتى بها الأفراد . وهى تكشف بصوره عامه عن تدهور العلم حتى إستطاع العقل السودانى من جراء الجهل فى قبول تلك الأفكار الغريبة وتفسير بعض الحركات المرضية على أنها علامات صلاح كما يضيف لنا بوكهارت عن الحالة المستقرة للمجتمع على النيل وحالة القبائل وسط حالة التجارة وجشع حكام المدن على النيل فى بربر وعطبرة والدامر وشندى وأعتماد دخل ورؤساء الجماعات على ضرائب التجارة ...

إلا ان التجارة كانت هى الحياة فى بعث حركة العمل فى نقل حاصلات أهل النيل وروافده وسنار عن طريق شندى سنار ودارفور ستنا إلى سواكن أو الدر وعن طريق الأربعين بجانب هجمات قطاع الطريق مثل النعيم الذى كان يعيش فى أرض الرابطات فى القرن التاسع عشر وهجومه المتواصل على القوافل وتقسيم أموالها على السكين ونيرت اللوبية وتكشف لنا رحلة بوكهارت

والتونسى أن تعاليم الدين تكاد تكون معدومة أو مجهولة وأنتشار السكر والدعارة حتى فى مدينة مثل الدامر حيث نشأت بيوت العلم والصوفية وبيت المجاذيب وما لاقاه بوكهارت فى تلك المدينة يكشف عن رهبة رجال الصوفية على جميع المنطقة التى حواليهم واحترام الناس لحقوق رجال الصوفية إلا أن رجال الصوفية لم يحاولوا أن يتدخلوا فى حياة الناس العامة أوتقويمها وانتشار بيوت الخمر والدعارة حواليهم كان يكشف عن حالة المجتمع وتفككه .

كما تكشف لنا رحلات التونسى لدارفور فى أوائل القرن التاسع عشر أيضا عن حالة المجتمع القبلى والمعرفى فى غرب السودان وانتشار الجهل والخصومات القبلية والصراع الذى كان يلاقيه العلم حتى من رجال الحاشية والخاصة بالملك .

القرن السابع الميلادي

قبل الحديث عن الأحداث الداخلية فى السودان يجب علينا أن نطل على الاحداث الخارجية خارج السودان التى كان لها أثر على تطور السودان وسنحاول فى هذا القرن تتبع النشاط الانسانى والتوسع العربى عما كان له اثر مباشر والحياة السودانية فقد اعتمدت معظم الدراسات التاريخية بتتبع الحركة العربية فى السودان وأستخدام الحوادث اليومية لدخول العرب السودان وأبعدوا هذه الاحداث اليومية عن مجرى السياسة العربية والاسلامية فى تاريخ الدولة الاموية والعباسية والفاطمية وربط هذه الاحداث وإنعكاسها على الحركة الإسلامية والتوسع العربى . لانه بدون تتبع الوضع السياسى للدولة الاسلامية فى القـــرن السابع الميلادى حتى القرن الخامس عشر الميلادى لانستطيع أن ندرك سبب إنتشار العرب والدوافع السياسية والعقائد والمذاهب الدينة التى كانوا يعتنقونها وأثر هذه المذاهب فى تاريخ الدولة الاسلامية ودخول العرب إلى أفريقيا الوسطى .

كان القرن السابع الميلادى هو عصر الفتوحات الأسلامية وأنتشار الدين الأسلامى فى الجزيرة العربية حتى شرق إفريقيا . وحين دخول الاسلام إلى مصر فى هذا القرن كان السودان ينعم بميلاد المسيحية وهى فى طورشبابها وأزدهارها وبدأت المحاولات العربية لاخضاع مملكة دنقلة المسيحية إلا إنهـا إكتفت بعقد صلح مع ملك دنقلة قيلدوروث عام ٦٥٢ م . جاء فيه إنه لايحارب المسلمون النوبة وبالعكس وأن يدخل المسلمين بلاد المسيحيين مجتازين غير مقيمين فيها وعلى النوبة حفظ من نزل بلادهم من المسلمين حتى يخرج منها ، وعليهم رد كل آبق دخل بلادهم من عبيد المسلمين وعليهم حفظ المسجد الذى إبتناه المسلمون بدنقلة وكنسه وإسراجه وتكرمته وإلا يمنعوا عنه مصليا وإن يدفعوا فى كل سنة ثلثمائة وستين رأسا من إوسط رقيقهم غير المعيب يكون ذكراً :

هذا الحادث كان من أهم الحوادث التى حدثت فى حياة السودان السياسية والاجتماعية إذ تعرض لاول مرة لغزو من القبائل العربية وهم لم يعرفوهامن قبل وخاصة سكان هذه المنطقة إذ لم تستطع مصر من قبل تحت سيطر العرب إلا فى عهد العرب العالقة .

وان لم يأتى هذا الحادث بنتائج سياسية فى حدود الدولة السودانية إلا أنه كان علاقة تاريخية وممراً مأمونا لدخول العرب فى هذه المنطقة ووقوف الجامع بين الكنائس وإقامة الشعائر الاسلامية من صلاة وآذان وأدخل على حياة الناس فى تلك المنطقة الشماليه أسلوبا جديدا فى العبادة لم يألفونه ودينا جديدا مباركا جاء ينسيهم دينهم القديم

إما ماعدا ذلك فقد استمرت الحياة السياسية والاجتماعية فى السودان كما هى ولم تحدث حوادث خارجية تؤثر فى حياة السودان فى المستقبل غير الهجرات العربية التى كثرت نحو شرق إفريقيا والتى إضطرت إخيرا للهجرة لداخل أفريقيا واواسطها والتاثير فى منطقة الفور وكانم ووداى والسنغال وتمبكتو .

هذا فى الشمال أما فى غرب السودان فيصعب تحديد الحالة الاجتماعيةفى تلك المنطقة لعدم وجود أى وثائق أو معلومات عنها ولكن يبدو من العمران والحياة الاجتماعية الملكية التى كانت سائدة فى دارفور ومنطقه جبل مرة حتى القرن الخامس عشر الميلادى . ان هذه المجموعات عرفت الحياةالاجتماعيةو نظم الحكم فى فترات بعيدة من ديانة وعبادات شعوب تلك المنطقة كانت تختلف عن سائر البلاد مما يدل أنها قديمة وعريقة فى هذه المنطقة الغنية بالخيرات الطبيعية والانهار والوديان التى هى المصدر الأول لخلق التجمع والمجتمعات المختلفة الاولى .

سيخون :

بعد وفاة (سمانون) إعتلى عرش طيبة إبنه سيخون ، وخلف له والده عدواة أمراء الوجه البحرى ومرارة هزيمة الاشوريين ، فحاول أن يعهد هذا الملك إلى سياسة فرق تسد بين أمراء الوجه البحرى إلا أن المنية عاجلته قبل أن يتمكن من اعادة وحدة البلاد كما كانت عليها حتى أعطى فرصة لليبيين للظهور مرة أخرى وتدخلهم لمساعدة أمراء الوجه البحرى لطرد الاثيوبيين

بعنخى :

ومن ملوك الدولة الأثيوبية بعنخى العظيم الذى خلف لنا آثاراً كثيرة تتحدث عن مجده وعظمته وشهرته فقد سمع هذا الملك بمحاولة الليبيين لتجميع أمراء الوجه البحرى وطرد الاثيوبيين من مصر فجرد بعانخى جيشا عظيما وأرسله لمصر رخاص طيبة من سيطرتهم و لحقهم بعانخى بجيش آخر وطاردت فلول المنهزمين حتى تمت له السيطره على الوجه القبلى كله وإستعد لمحاربة بقايا أمراء الوجه البحرى وإحتفل بنصره فى معبد آمون بالكرنك . ثم واصل زحفه على أمراء الوجه البحرى حتى وقف عند حصون منقف القوية وقاد الحملة بنفسه حتى كسر شوكة حصون منف وعامل أسراءه أحسن معاملة .

* * *

أما فى أواسط السودان فقد كانت منطقة الجزيرة أكثر كثافة بالسكان وخاصة منطقة النيل الازرق وجنوبها قبائل الشلك الوثنيه وقد أعتنقت شعوب تلك المنطقة المبادات الوثنية وبفضلها أخذ المسيحية بظهور مملكة علوه (سوبه) فى تلك المنطقة وانتقال الحكم اليها بعد هجوم الحبشة عليها فى القرن الرابع الميلادى وتدمير مروى القديمة .

* * * *

* * *

نشاط الحركة الثقافية في العصور الأولى للاسلام

دون أن نضيف للتاريخ بعض العبارات غير العلمية ودون أن نتصور من أشياء صغيرة حقائق كبيرة تعطينا صورة بعيدة عن الحقيقة وتجعل التاريخ الحقيقي صورة بعيدة عن الواقع بفعل حبنا أو محاولة اعطاء ماضينا شيئا من المجد بأسلوب فيه كثير من العطف والحب . . ولكن الاجدر بنا حتى نقف على الصوره الحقيقية للتاريخ أن نقف منه موقف العالم الذى يفسر الاشياء كما هى دون اعتبار للنتائج ان كانت ترضينا أولا ترضينا .

لو تتبعنا حركة البعث الاسلامى المصاحب لنهضة الفكر العربى نجد أنه إبتداء فى جنوب الجزيرة مع مولد الرسول (صلعم) ثم انتشرت الدعوة للشمال ثم عرجت على شمال افريقيا ثم غرب أوربا المطل على البحر والمحيط .

بدأت الدعوة الاسلامية بحماس دينى شديد ثم انحرفت بحماس للدولة الجديدة التى قسمت المسلمين إلى أقسام كثيرة منهم من تبع حكم معاوية بن سفيان وعائلته ومن عارضة من أسرة على بن أبى طالب الشيعة ثم كان الخوارج عارضوا الجهتين المتنازعتين على زعامة المسلمين .

فى بداية هذا الخلاف داخل الجزيرة العربية وانقسام العرب إلى ثلاث جبهات كل فئة تترصد بالاخرى وتعمل الاساءة والإطاحه إليها دفعت بالدولة الاسلامية إلى اتجاه جديد . وهو التركيز على تقوية الدولة الاموية ان كانت أو العباسية عسكريا ، وتنظيم حال الدولة حتى تستطيع أن تطارد وتقضى على الفئات الاخرى التى تحاول ارتسيء او تتكون للاطاحة بالدولة الاسلامية القائمة

هذا الصراع الداخلي داخل الدولة الاسلامية حد من نشاطها الاسلامي والثقافي بل دفع بكل امكانياتها بل بعضها إلى محاربة الخارجين على القانون ، والمعارضين من العرب بجانب المشاكل الخارجية . . . وهذا هو السبب الذي دفع بالدعوة الإسلامية أن تفقد وحدتها وقوتها التي خرجت بها من جزيرة العرب في زمن الخلفاء الراشدين .

بدأ الحكم الأموي عام ٢١ هـ — ٦٤١ م واستمر صراع داخلي مرير كلفه كل امكانياته لمحاربة الشيعة والخوارج ، ولا ستتباب الأمن في الأراضي الجديدة التي فتحها العرب للإسلام ، الأمر الذي جعل الدولة الأموية تتعاون مع الشعوب الأخرى خائفة من أنصار الشيعة والخوارج ، حتى انتهى الحكم الأموي عام ١٣٢ هـ ٧٥٠ م وكان سبب انتهائه هو هذا الصراع الداخلي الذي واجهه من الشيعة والخوارج مع اتساع رقعة الامبراطورية الاسلامية .

لاشك أن خروج العرب من الجزيرة العربية واتصالهم بحضارة كبيرة كحضارة الاغريق والرومان والفراعنة واخضاعهم لمعظم شعوب هذه الحضارات كان لابد للعرب أن يكونوا في مستوى أقوى من هذه الحضارات . . وقد كان لهذه الحضارات بقاياها الخالدة التي كان لابد للعرب أن يطلعوا عليها وحتى يستطيعوا أن يفرضوا منطقتهم وفكرهم وثقافتهم على هذه المناطق . . . فوجه هذه الدولة الاسلامية سيطرتهم على فكر وحضارة هذه الأمم وملاءمة الفكر العربي مع هذا التراث كان لابد للعرب من أن يطلعوا على هذا التراث بعد هذه الفتوحات التي أخضعوا بها هذه الحضارات عسكريا فلابد إذن من اخضاعها فكريا . . . وقد كان لهذه الحضارات سيئتها في هذا الصدد ولا شك الحضارة الاغريقية والرومانية ، وما تركته الحضارة الفرعونية من آثار وما أخرجته جامعة الاسكندرية من علم وفكر .

سقط الحكم الأموى ليبدأ الحكم العباسى عام ٧٥٠ م - ١٣٢ هـ . وبدأ الصراع العربى من جديد أكثر وحشية داخل العرب المسلمين أهل الدعوى فى عصبية الحكم أنستهم عظمة الرسالة وهدف الرسالة أنما شهوة الحكم دفعت بالقوى لكرسى الدولة الاسلامية الامر الذى مزق وحدة الامة العربية منذ ذلك التاريخ إلى طوائف وأحزاب .

فى ظل هذا الصراع اتسعت الدولة الإسلامية فى العهد الاموى والعباسى ولكنه اتساع على حساب قوة ومركزيه الدولة الإسلامية وزيادة مسئولياتها وعبء للدولة بجانب هذا التصدع الداخلى المريع الذى ظل يخلف الدولة المركزية والحاكم باسم العرب والمسلمين حتى فتح هذا الباب لكثير من الاجناس الاخرى أن تتقدم إلى كراسى العرب المسلمين بفرض المساعدة ضد الطوائف الاخرى - أفاد الثقافة العربية والفكر العربى لاشتراك تلك العناصر غير العربية فى مجال الثقافة والفكر والإدارة فى مرحلته الاولى قاد فى النهاية لانقسام الدولة الاسلامية على عدة دول فى حلب وبغداد والقاهره والمغرب .

اتسعت الدولة الاسلامية ولكن ما قيمة ما صرفته فى نشر الثقافة والفكر العربى فى الاراضى الجديده والاسس التى قامت عليها هذه الدعوه فى عالم جديد عن حضارتها ، وأرضها . . . وسنرى القواعد التى قام عليها الفكر الاسلامى لنشر الثقافة العربية فى مصر ثم السودان .

تخطيط العرب لنشر الثقافه والفكر العربى

بعد حكم رومانى قام بعد مقتل كيلوباتره فى عام ٥٤ ق . م . إلى ٦٤١ م . بدخول عمر بن العاص لينهى سيطرة المسيحية على أرض النيل والرومان عنها وليبدأ عهداً جديداً فى حياة مصر العربية وحياة افريقيا والنيل .

أنشئت الدولة الإسلامية على أرض النيل وامتدت حتى حدود المملكة السودانية وأرسل عمر بن العاص فى نفس العام قائده عبد الله بن سعد إلى مملكة دنقلة المسيحية لينهى هجومه على العاصمة دنقلة بالصلح واتفاقية تتيح للمسلمين اقامة شعائرهم ومساجدهم وضمان حرية مرور العرب .

كان لابد للدولة الإسلامية لتركيز الدولة سلطانها فى أرض النيل أو فى أى بقعة جديدة من اقامة الدولة القوية ثم نشر الدعوة والعلوم الإسلامية بما فيها من شريعة وفقه وحديث وكتاب الله وتفسيره .

كان الجيش هو قوام الدولة الإسلامية وكان الجامع هو المدرسة الأولى لنشر الثقافة الإسلامية .

قامت مدينة الفسطاس بعد فتح عمر بن العاص فى عام ٦٤١ م بعد أن بسط نفوذ الدولة الإسلامية على مصر ومد هـذا النفوذ إلى عاصمة الدولة المسيحية السودانية دنقلة .

إنشاء عمر بن العاص المسجد الجامع أو جامع عمر أو كما كان يسمى المسجد العتيق أو جامع مصر أو مسجد أهل الرايه .

وإذا انطلقنا من هذا الجامع الأول وهذه المدرسة الأولى لنشر العلوم الإسلامية والثقافة العربية على أرض النيل وتتبع نشاط هذه الجوامع وازدهار هذا الجانب العلمى من الدعوة الإسلامية حتى نتمكن من رصد هذا التطور على الثقافة العلمية فى السودان بجانب العوامل الأخرى والمصادر الأخرى .

واستمرت مصر فى خلافة الأمويين ثم العباسيين ولم يجد فى حياتها العلمية أى اضافة لجامع عمرو الذى كان منبرا لوالى مصر . . . وقد كان المسجد هو المنبر الرسمى فى المقام الأول ليجتمع الوالى برعيته بعد صلاة الجمعة لالقاء الموعظة والأوامر والتشريعات الجديدة . . . . كان الجامع هو المنبر لنشر سياسة الدولة الإسلامية أيام الجمعة . . وكان يقوم بجانب هذا الدور بعقد الندوات والمناظرات وحلقات الدراسة منذ إنشاءه ولكن هذا الدور لم يأخذ شكله الواضح . . . بل كان نشاطه ضئيلا بالنسبة لموقع الدولة الجديدة التى عاشت فى اضطرابات الحكم وصراع الشيعة والأمويين والخوارج لم يتح لها أن تخطط للدراسات والعلوم العقلية لتنمو بجانب الدولة الجديدة ، الأمر الذى جعل من هذه الجوامع كمنبر عام للخطابة الرسمية .

وقبل أن نحكم على هذه الظاهرة يجدر بنا أن نلقى نظرة على المجتمع المصرى قبل الفتح وبعد الفتح ثم نلقى نظرة عملية وعلمية لإنشاء جامعة إسلامية تقوم بتدريس العلماء والفقهاء والمفسرين ولتخرج كافة رجال المعرفة تحتاج اليهم هذه الدولة الجديدة .

قبل دخول العرب مصر كانت الاسكندرية هى جامعة مصر تنقل اليها علوم الاغريق وترسل الوفود وتستقبل الوفود ، ونحن نعرف أن بعض العلماء الافذاذ فى العلوم قد تخرجوا ونبغوا من جامعة الاسكندرية وقد انشأت جامعة الإسكندرية ومكتبتها فى عهد البطالسة أو البطالمة ، وقد عرف أهل اثينا العالم « تكريس » فى مفهوم الدولة والقوانين ثم ذاتاؤس ، الذى أنشأ مدينة ارغوس فى قسم المورة « وافلاطون » فيلسوف الحضارة الاغريقية العريقة تتلمذ على كهنة من كهنة عين شمس أخذ عنهم علم مصر القديمة .

ثم « بطليموس » ابن الاسكندرية وأبو علم الفلك والجغرافيا «وفيثاغروس» صاحب النظرية ومطور علم الهندسة والذى رفعه علمه فى نظر تلاميذه حتى أدعوا أنه إبن الآلهة (أبو لون) ثم « بلوتينوس » مؤسسة الفلسفة التى تعرف باسمه والتى تدعو لحرية الإرادة والإيمان بالله والترفع عن المادة وترويض الجسد من الشهوات .

هذه الجامعة التى نقلت حضارة الإغريق والرومان وبعثت الحياة العقلية والفنية من جديد فى مصر — بعد أن سكنت الحضارة الفرعونية التى أعطت أقصى إمكانياتها ثم بدأت تذبل لتفسح المجال لشعوب أخرى لتأخذ دورها فى التطور .

كان المجتمع المصرى يعيش تحت ظل الدولة الرومانية بفنها وفلسفتها بعد أن ظهر المسيح ليفتح أفاقاً جديدة للعقل البشرى ليفكر فى الله والوجود ويخرج الإنسان من عالم الغيبات والله الأغاريق والفراعنة إلى دنيا جديدة مليئة بالحق والتضحيات . . . وقد وصلت آثار هذه الحضارة إلى جنوب النيل وعرف

سكان السودان الفن الإغريقى وآلهة الإغريق ولكنهم لم يبدلوا آلهتهم بآلهة الإغريق حيث لم تكن هناك سيطرة لهم على السودان إنما المعاملات التجارية التى كانت قائمة بين المملكة المصرية الرومانية والمملكة السودانية الفرعونية التى عاشت حتى بعد القرن الثالث الميلادى فى حين وقف نمو الحضارة الفرعونية فى مصر من القرن السادس قبل الميلاد .

كان المجتمع المصرى هو مجتمع البلاط الملكى وجنده وحاشيته ومجتمع الفلاحين الذين يخدمون هذا البلاط . . . الفن والفكر للذين يدورون حول القصر أو الذين يسكنون فيه أما بقية الشعب فلهم عبادة الآلهة وزراعة الحقول.. ليأكل السادة ويجبون الضرائب ويعيشوا فى عالم آخر قائم على عرق هؤلاء الأشقياء الذين رأوا فيه جنة بالنسبة لحكم الفرس الذين حكموا البلاد بالبطش والإرهاب .

فى ظل هذه الحضارة التى امتدت من شمال البحر الأبيض المتوسط إلى جنوبه حتى عمت النيل ظهر المسيح منافس جديد لآلهة هذه الحضارة ... ومعه الإنجيل الذى حير الفلاسفة وأهل الفلسفة فى معتقداتهم وآراءهم .

إن ظهور المسيح لا يمكن أن يكون حدثا سهلا بالنسبة لرجال الفكر والفلسفة فى ذلك العهد . . فقد جاء رسول بعقيدة تخالف كل فلسفاتهم وأفكارهم . . كما أنهم وجدوا أنفسهم فى مكان إمتحان قاس بالنسبة لبقية الشعب الذين يستفتونهم فى آراء هذا الرسول كما أن موقف الكهنة من هذه

الديانة السماوية الجديدة أمر ليس بالسهل . وأخذ الصراع الطبيعى بين المعتقدات القديمة والديانة الحديثة زمنا ليس بالقليل حتى سادت المسيحية وأصبحت ديانة الدولة وفرضت نفسها على بقية الشعب وامتدت إلى المملكة السودانية الفرعونية التى أثرت فيها وبدلت ديانتها فى القرن الرابع الميلادى حتى وصل هذا الأثر إلى داخل السودان . إلى مملكة علوه قرب مدينة الخرطوم .

دخول العرب والإسلام السودان

سنبحث بعد الآن فى نوعين من المؤثرات على حياة المواطن السودانى أولا دخول القبائل العربية ـ كقبائل لها عاداتها واخلاقها وفكرها الذى يختلف عن فكر وعادات وتقاليد المناطق الجديدة التى ارتادها العرب مكرهين أو راغبين وسنحاول أن نتتبع المؤثرات التى خلفوها على الجماعات السودانية فى شمال وشرق وغرب السودان كما سندرس أثر الدين الإسلامى كدعوة جديدة جاءت إلى قرى مسيحية وقبائل وثنية . .

دعوة جديدة تدعو لوحدانية الله وعبادته .. وسنرى إلى أى حد كان دعاة هذه الدعوة أو رسل هذه الرسالة توفقوا إلى توصيلها إلى هؤلاء الاغراب عنها، وكيف إستطاعت أن تحل مكان الوثنية ومكان المسيحية فى الشمال وفى وسط السودان.

عرفنا أن زحف القبائل العربية بدأ بظهور الاسلام فى أفريقيا وأوربا من أجل نشر الدعوة الاسلامية ثم هروباً من العصبيات السياسية من إنصار لدعوه الامويه والعباسيه والفاطميه .

وقد كانت مصر هى نظر أمير المسلمين عمر بن الخطاب حين دخل عمر بن العاص ناشراً الدعوة الاسلامية فى أقوى دولة فى أفريقيا فى ذلك الوقت وفتح الطريق للقبائل العربية لتنتشر خارج حدود الجزيرة العربية .

دخل عمر بن العاص مصر عام ٦٤١ ميلادية ولم يكن دخوله إلى مصر دخول

عابر أو احلال دين مكان آخر وعملية التحويل نفسها لا تأتى بالقوة أو بين يوم وليلة أنه تغير فى معتقدات الناس وفى معاملتهم .

وإذا كان دخول عمر بن العاص إلى أفريقيا عن طريق مصر يعنى أولا - عزل أفريقيا عن حضارة شمال البحر الأحمر المتوسط التى سيطرت عليها منذ عام ٣٣٢ قبل الميلاد بفتح الاسكندر المقدونى لمصر ودخول الحضارة الاغريقية لمصر وافريقيا ثم أعقبه الرومان من عام ٥٤ ق م إلى ٦٤١ ميلاديه .

إذا وضعنا فى إعتبارنا أن المنطقة النيلية التى قامت عليها الحضارة والمبانى الفرعونية تمتد من الاسكندرية إلى النيل الازرق بالسودان لأدركنا أن سيطرة الحكم على الاسكندرية أو الفسطاط يعنى بالتالى أما أخضاع كل هذه المملكة ذات الحضاره القديمة لحكم الشمال أو ترقب الجنوب لهذا الحكم الجديد الذى استولى على مقاليد الحكم فى الشمال . . . وستظل الممالك الجنوبية فى ذعر وخوف وترقب تنتظر زحف هذا الحاكم الجديد على مصر أن يغزوها . وإذا لم يحدث الغزو يحدث التفاهم والتعاون ، وهذا ما حدث كان جنوب النيل ليس بموضوع هام الاغريق او للرومان رغم أن رحلة هيرودويت فى القرن الرابع قبل الميلاد تكشف لنا رغبة للاغريق العارمه لمعرفة منابع هذا النيل ومحاولتهم للسؤال عنه أو استكشافه .. هذا يضيف إلى أن قدامة هذا النيل واسطوريته عند الاغريق ه. وما وصل إلى اسماعهم عنه وتسميتهم لمنابعة بهضاب القمر البيضاء والتى رجح أخيراً انها تعنى هضبة جبال كلمنجارو وشلالاتها .. وهذا يكشف لنا ألى أحد هؤلاء المكتشفين الاوائل قد قرب من هذه المنابع أو أن المعلومات قد وصلت الهم ... أو أن تصورهم قد بلغ هذا الحد الرائع لمنابع النيل .

هـذه الحضارة المزدهرة التى كانت قائمة على شمال النيـل وكان لهـا أثر مباشر على جنوب النيل كما جاء سابقاً يمكن أن يكون زوالها بهبوب عاصفة تغطى على القديم وتترك المكان مسطحـا للجديد لينبت بل العكس إما عملية صراع رغم التغلب الظاهرى الذى امتاز به العرب والاسلام على شمال أفريقيا .

ولكن فرض الثقافة العربية والاسلام والحضارة العربية مكان المسيحية وحضارة شرق البحر الابيض المتوسط وشعوبه ليس أمرا هينا ويسيراً يتم فى عام أو أعوام بسيطه .أن الجيش الاسلامى ربما يدخل ويفرض الحكم الاسلامى وربما ينتشر الجند فى كل بقاع المملكة ... ولكن الحياة العربية لن تظهر إلا بعد أن يتغلب هؤلاء العرب عدديا وعسكريا وفكريا على الواقع الموجود ... وهذا مايكشف لنا دخول العرب السودان فى جماعات كبيرة ظاهرة بعد سبعة قرون من دخولهم مصر رغم أن عمر بن العاص (عام ٦٤١) أرسل عبد الله بن السرح لتأمين الحدود الجنوبية من المملكة المسيحية والقبائل الجنوبية لضمان سلامة ممالكه من الجنوب ولمحاولة بعث هذه الدعوة للجنوب . . ولكن لقلة امكانياته للتوسيع جنوبا اكتفى رسوله عبد بن السرح بعد أن ضرب دنقلة بالمنجنيق بعقد معاهدة صلح مع حاكمها بأن يعترف بالدين الاسلامى ولا يعاديه ... وأن لا يقف ضد من يؤمن به .. وهو بذلك ضمن حرية العبادة للمسلمين فى تلك البلاد المسيحية . . كان هذا أهم حادث فى تاريخ السودان الاسلامى .. وأن يفرض الحاكم الجديد على مصر على حاكم شمال السودان المسيحى بأن يحترم الدين الاسلامى .. وأن يحترم المسلمين ويتركهم لأداء شعائرهم ... وقد كان من حسن حظه أن هذه المملكة المسيحية لا تملك من المنعة أو المقاومة لهذا الفاتح الجديد الذى أزهلت فتوحاته كل ممالك العالم وأصبح يرعب كل ملك ينتظر قدومه .

كانت معاهدة بن السرح هى وضع الرايه الاسلامية بن قباب الكنانس فى أرض السودان فى النصف الاول من القرن السابع الميلادى .. .. وعاد راجعا بعد أن ضمن حرية العباده المسلمين .. .. ولكن فى الحقيقة لم يكن هنا لك مسلمون فهى دعوة جديدة دخلت عليهم بالقوة .. .. ولكن ظاهرة التسامح والعقد الذى أعطاه بن السرح لحاكم دنقلة فتح الباب لهذه الدعوة أن تدخل قلوب المواطنين فى أرض مسيحية متعصبة لمسيحتها وربما غاضبة لانهزام مصر المسيحية أيضا .. .. وسد الطريق أمام هذه الممالك إلى الاسكندرية والأمر الذى قاد لخنق هذه المسيحية فى حدودها وربما عزلها عن العالم المسيحى النشط الذى كان يعمل فى شروق البحر الأبيض المتوسط لتنشيط رسالة المسيح وتدعيم الكنيسة المسيحية وزعامة أور بالنشر الدعوة المسيحية .

بعد القرن السابع الميلادى خضعت مصر وشمال أفريقيا الاسلام ولسيطرة الحكام العرب والقبائل العربية والتكاثر عدد النازحين العرب فى شكل جيوش أو متأجرين يذهبون حيث امتدت دولتهم الاسلامية .. .. فالحكم العربى على هذه البلاد فتح لهم باب الهجرة والتجوال بين هذه الامم حتى سيطروا عليها وفرضوا لغتهم وأغلب عادتهم

أما فى السودان فلم يحدث غزوا لوضع دولة اسلامية عربيه كما حدث فى بقية البلدان التى خضعت للاسلام والحضارة العربية بكل مقوماتها . . . فقـــد ظل السودان فى شبة سلام من هـــذا الغزو الاسلامى والحضارى مكتفيا بعزلته المسيحية .

ولكن هل يقف الاسلام والعرب عند شمال مصر ، بالطبع لا . . فقد امتدت

الهجرات العربية لتأمين الحدود الجنوبية لهذه المملكة الاسلامية التى لها وضع إستراتيجى بالنسبة لعاصمة الامبراطوريه الاسلامية العـــربية وبالنسبة لشمال افريقية وأسبانيا .. وكانت مصر ملتقى مركز هام لهذه الدعوة ولهذ الانتشار العـــربى .

أن ظهور العرب فى أى مكان أو بين أى مجموعات لا يحدث فى لحظة . . . وإذا أردنا أن نتصور أو ندرس التاريخ كما هو ، علينا أن نسأل أنفسنا بعض الأسئلة كيف كان يعيش هؤلاء العرب مع هذه المجموعات . . . أى حرفة كانوا يتكسبون منها قوتهم . . ما نظرتهم للقوم الذين بينهم وما نظرة القوم اليهم .. وما صناعه هؤلاء القوم . . . ما هى العـــلاقات الاجتماعيه بين هؤلاء السكان وما معتقداتهم .. هل وجدوا هنا لك تنافراً بين طباعهم وطباع العرب — هل وجد العرب منهم طباعاً تجعلهم ينعزلون عنهم أم وجدوا تقاربا بينهم فى المعاملات والأخلاق حتى سهلت عليهم عملية التعايش والتعامل ... اللغة التى كان يتكلمها هؤلاء القوم قبل قدوم العرب هل كان يعرفها العرب — هذه كلها أسئلة يجب أن نتصورها حتى يمكن أن نتصور حركة التاريخ أما إذا حاولنا ان نبدأ بعد غلبة العرب والاســـلام عليهم . . . فستضيع علينا ملامح المجتمع الجديد الذى جاء نتيجه هذا التزاوج والامتزاج .

ولنضرب مثلا أن جماعة العرب التى حكمه أسوان كيف تيسر لها أن تحكم أسوان .. وحتى تظهر لنا فى القرن الحادى عشر الميلادى مملكة عربيه كنزية تسيطر على جنوب مصر . . . هل حدث هذا الحكم فى لحـــة البصر وأصبح حقيقه واقعه أم هناك تدرجا حدث حتى حدث هذا التغلب .

والصورة يحدث كما يلى . . وهو تغلب العرب المسلمين على مصر دفع لفرض

مبانى رومانية أمتدت إلى جنوب وادى النيل بصحراء النجعة تضيف إلى تاريخ حضارة النيل إمكانيات حضارة شمال البحر الأبيض المتوسط .

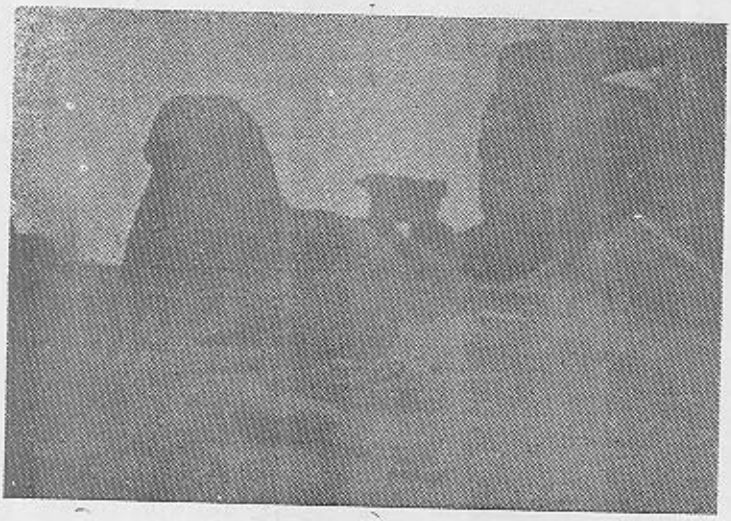

الحيوان من المخلوقات المقدسة . . بقايا أثار النجعة

لوحة العذراء والسيد المسيح وجدت بكنسيه فرص . من بقايا الفن المسيحى والقبطى بالمديريه الشمالية . .

اللوحة بها إمكانيات فنية لاحد لها . . منها الجديد . . والقديم الممثل فى حضارة انسان النيل.

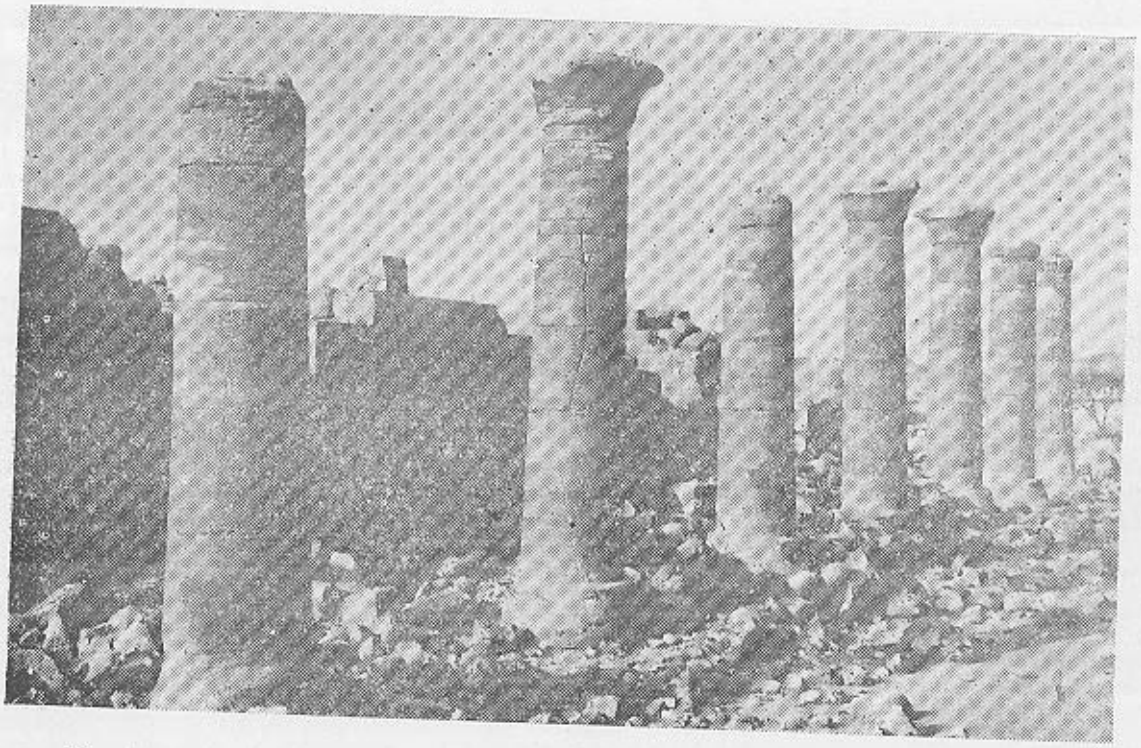

بقايا العهـــد المروى(٣٥٠ ق . م . — ٣٥٠ م . فى المصورات الصفراء تبين متانة البناء والأعمدة الفرعونية التى قامت عليها المعابد والقصور والقاعات .

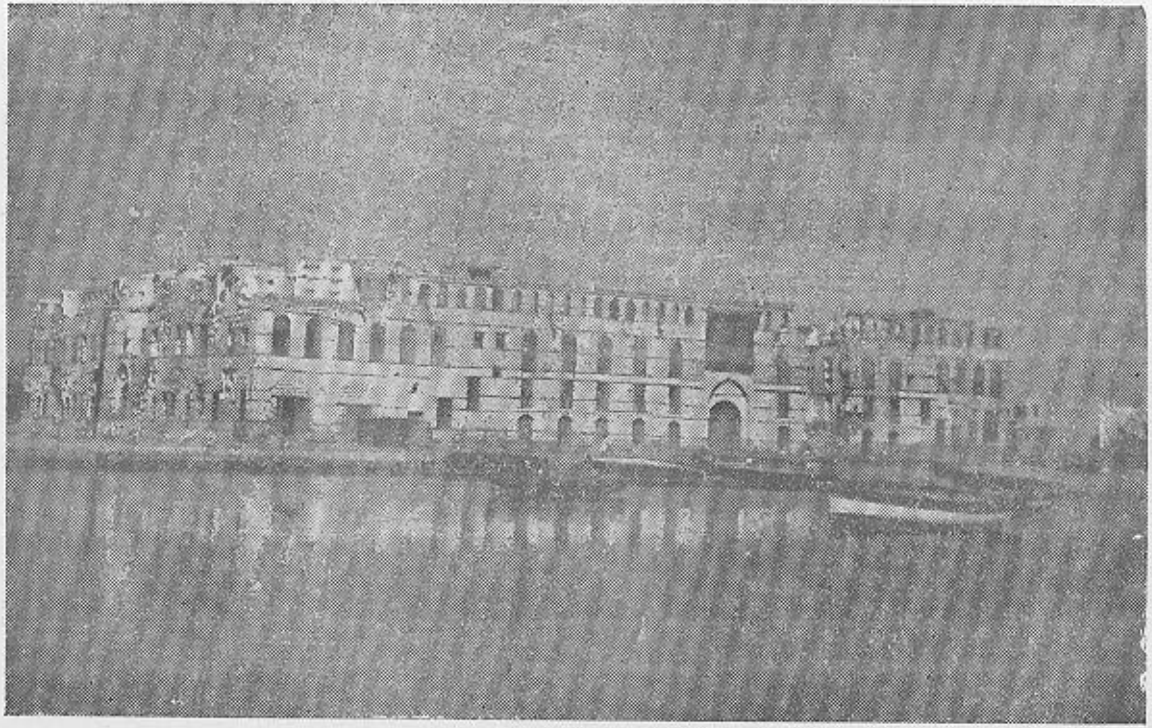

أطلال مدينة سواكن ميناء البحر الأحمر فى شرق السودان واجهة الحضارة العربية فى الشاطىء الآخر من البحر الأحمر.

لوحة العذراء والسيد المسيح وجدت بكنسيه فرص . من بقايا الفن المسيحى والقبطى بالمديريه الشمالية . .

اللوحة بها إمكانيات فنية لاحد لها . . منها الجديد . . والقديم الممثل فى حضارة انسان النيل.

حكام على المراكز الكبيرة ولما كانت أسوان من المراكز التجارية الهامة بين حدود مملكة مصر . . . ومملكة النوبة المسيحية والصلاة التجارية عن طريق القوافل لبيع حاجيات أهل السودان لمصر وحاجيات أهل مصر للسودان . . وبمرور الزمن وقوة هذه الجامية الجنوبية كثر عدد العرب بها . . . وحينما كثر عدد العرب بها . . . نزح اليها بعض مجموعات القبائل العربية التى كانت تجد فى ظل الحكم العربى ضمانا وحماية لها من أى منطقة أخرى .

وحينما كانت علاقات أسوان بممالك النوبة دائما فى تحرش بسبب الدين والقوافل التجاريه ... ولهجوم النوبة على حدود هذه المملكة المسلمة ... إنتهى الأمر بأن تغلبت المملكة الجنوبية الاسلامية على ردع المملكة النوبية المسيحية وفرض دية عليها .

اذا اعتبرنا الفتوحات الاسلامية هى البداية العظيمة للهجرة العربية خارج الجزيرة فى مجموعات كبيرة ولو اعتبرنا أن العرب وصلوا إلى حدود المملكة المسيحية السودانية دنقلة فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى . .. بعد اصطدامات هدمت قباب كنائس دنقلة رجع العرب لحراسة الحدود المصرية وأقاموا فى أسوان قاعدة جديدة للحرب.

وفى القرن السابع الميلادى كثرت الروايات عن بلاد النوبة والبجة وبهنسه والسودان فى كتب العرب فى كتابات قائمة على الرواية والنقل وهو أمر لم يكن معروفا من قبل وظهر اسم القبائل السودانية فى روايات كثيرة وأشتباكات مع العرب بعد القرن الثالث الهجرى الأمر الذى يجعلنا نقف عند أسوان كقاعدة انطلاق للعرب والمسلمين داخل السودان .

شيد العرب بأسوان حصناً قوياً ضد غارات النوبة والبجه، وسكنت القبائل العربية فى المناطق المجاورة لأسوان وذلك بعد حكم عثمان بن عفان الذى فى عهده عقد الصلح بين النوبة والعرب على أن يدفعوا جزية سنوية قدرها أربعمائة رأس فى السنة

النوبة :

عرف العرب السودان بأرض النوبة جنوب أسوان إلى جنوب ملتقى النيلين الأبيض والأزرق كما أضافوا البجة إلى أرض النوبة . . . وبذلك كان سكان السودان عموما بالنسبة اليهم نوبة . و قد عاشروهم وعرفوا كرم طبعهم مما جعل النبى (صلعم) يقول من لم يكن له أخ فليأخذ له أخاً من النوبة .

وعند ظهور الاسلام على حدود السودان كانت هنالك على الشمال مملكة النوبة المسيحية وعاصمتها دنقله ... وفى الجنوب مملكة علوه المسيحية أيضاً وعاصمتها علوه (سوبه شرق الخرطوم) . . . وهذه المنطقة النيلية حتى جنوب النيلين كانت تخضع للمسيحية فى حين كانت قبائل البجة المنتشرة فى وديان البحر الأحمر وقرب النيل حتى حدود أسوان طلبا للمرعى وهى قبائل وثنية لا يجمعها ملك إنما لكل قبيلة رئيسها وهى قبائل كثيرة منتشرة .

وقد عرف عن قبائل البجة المتعددة إنها قبائل شرسه ميالة للقتال والنهب وقد كانت كثيرة الغارات على طرق القوافل التجارية ولعدم انضمامها ، وخضوعها لحاكم كبير كانت تتصرف هذه التصرفات الفردية التى لا ينفع معها عقد صلح أو خلافه ... انما كانت هذه القبائل تتبع طبيعتها الخلوية ... وهذا النهب يكفى حاجتها المادية لخيرات الأرض الطيبة مما تفتقده مصر أو أرض السودان .

أما النوبة فقد جاء فى معجم البلدان للإمام شهاب الدين بن عبدالله ياقوت بن عبدالله الحمـــوى المتوفى عام ٦٢٦ هـ. (أن النوبة بخلاف ديانتهم للمسيحية القبطية (يعاقبه) كانت حالته الاجتماعية متيسرة وكانوا أصحاب ابل ونجائب وبقر وغنم ولملكهم خيل عتاق وللعامة براذين وفى بلدهم الحنطة والشعير والذرة ولهم نخل وكروم ومقل وأراكى) .. وهذا الوصف لا ينطبق على شمال النوبة أنما ينطبق على أرض — النوبة عامة التى عرفها العرب وهذا يدلى على أن النوبة كانت لهم ماشيتهم وكان لهم زرعهم .. فهم قوم مقيمون — أهل حضارة ومدينة قديمة ودولة منظمة عريقة لها تقاليدها ودينها وحضارتها وليست دولة حديثة أو بمجموعات متنافرة كما فى شرق السودان .. .. وهذه الحضارة أخذت لها مراكز داخل السودان حيث امتدت مروى القديمة قرب شندى ثم حين ظهرت المسيحية إنتقلت الحضاره إلى الجنوب على ضفة النيل الأزرق عند ملتقى النيلين فى هذه المساحات الكبيرة لم تكن مجهولة أو منعزلة أو بدائية بل بالعكس لها قوتها وتنظيمها ودينها واتصالها الخارجى .

أما فى الشرق فقد كانت هذه القبائل المتعددة من البجة . . . قبائل بدوية وثنية لاتدين لحاكم أو ملك أنما لكل قبيلة زعيمها ، يحكمها قانون القبائل ، كل ما كانت هنا لك قبيلة قوية كانت لها المكانة عند القبائل الأخرى وكان يخشى بأسها وقوتها . . . أما القبائل الصغيرة فهى لاتنفك تتعارك مع بعضها البعض أما من أجل الثأر أو من أجل المرعى أو من أجل النهب وسرقة الماشية القليلة الحراسة الضالة .

هذا هو الخط العريض الذى واجه دخول الإسلام والعرب من الشمال . . مدنية مسيحية قديمة ذات حضارة فرعونية عريقة وديانة حديثة ودولة منظمة

قديمة عمرها أربعة عشر قرنا أقدم من حضارة العرب وهى فى الشمال أقوى وأعرق . . . تضم قبائل قديمة أصيلة ذات تقاليد وشجاعة جعلتها تحتفظ بملكها بعيدة عن السيطرات الخارجية التى خيمت على مصر فهزيمة هذه الشعوب ليس بالأمر الهين واخضاعها ليس أمراً سهلا لأنها قبائل قديمة عرفت المعارك والقتال ولم تستسلم يوما ما . . . . ولذا كان دخول العرب من النيل ليس أمراً سهلا أمام مجموعات لها دينها وبأسها واستعدادها ولها لغتها الخاصة . . . أربعة عناصر قوية تواجه تدخل العرب والاسلام من النيل . . . الحكومة القوية العريقة . . الشعوب المتمرسة على هذا الصدام والتى لاتخضع بسهولة ... واللغة المختلفة عن اللغة العربية .. ثم الديانة المسيحية التى بسطت نفوذها على طول النيل .

هذا مايخص جبهة النيل أما مايخص الجبهة الشرقية أى تلك القبائل البدوية المتعددة المشاكسة . . . فلو كان هنالك ملك يحكم هذه القبائل لأمكن إخضاع الملك بالقوة لما للمسلمين من قوة وبذلك يمكن إخضاع جميع القبائل .. ولكن الامر هنا أصعب ، فمهمة الدولة الإسلامية ليست سهلة . . . فعليها أن تخضع جميع هذه القبائل الواحدة تلو الاخرى .. .. هذه من ناحية السيطرة على هذه القبائل .. .. ويأتى عنصر آخر هو اللغة فهذه القبائل لا تتحدث اللغة العربية مما يجعل مهمة التفاهم معها أمراً صعباً... وتعليم الاسلام أصعب .. .. وهى اعقد المشاكل فكيف يكون التفاهم بين هذه القبائل وبين العرب المسلمين .. .. وكما أن ديانة هذه القبائل هى ديانة وثنية لا يسهل توصيل هذه الرسالة لهؤلاء القوم الوثنيين لذين لايعبدون إلاها .. .. فلو كانوا يؤمنون بالمسيح لا مكن اقناعهم بسهولة وبالجدل .. .. أما أن تخرجهم من الظلمات إلى النور بدون سابق معرفة .. .. أو نهى لهذا اللقاء وهذه القفزة فليس بالأمر الهين .

هـــذا هو الخط الشمالى الذى واجه تدخل العرب والاسلام والعناصر التى حددت من انطلاق العرب والاسلام الى السودان بعد القرن السابع الميلادى كما حدث بسرعة فى بقية بلدان شرق أفريقيا . . . هذا مما جعل العرب يقنعون بأسوان ويقيمون بها لوقت طويل .. ويكتفون بالجزية على مملكة النوبة المسيحية ذات الخيرات والحضارة والتنظيم وتركت القبائل البدوية فى شأنها . ولكن هل استمر الحال على هذا الخط الشمالى ضد تدفق العرب والاسلام أم أن الزمن كان له عنصر مساعد فى ذلك .

بعد القرن الثامن بدأت اعداد القبائل العربية تكثر على شمال المملكة السودانية . واصبح العرب أصدقاء للنوبة وتحالطوا بهم . وتدفقت بعض القبائل بشكل كبير على هذا الجزء منها ربيعة وجهينة وعكرمة على هـــذا الخط الشمالى وبذلك قوت شوكة العرب العددية وأصبح لهم وزن وتحالطوا بسكان وادى النيل وانتشروا على السهول الشرقية وعرفوا القبائل البجاوية . .. ولكثرة هذا العدد تسنده دولة قوية . .. أرهب العرب سكان هذا الخط الشمالى وفسحوا لهم وجعلوهم يعيشون بينهم يشاركوهم فى التجارة وخالطوهم . وبمرور جيل يأتى جيل بعده لاشك تختفى النظرة الغريبة للجانب الآخر فالعرب الأوائل الذين سكنوا بأرض النوبة لاشك كانوا ينظرون نظرة غريبة للنوبيين . .. فقد عرفوا عندهم عبيدا .. كما أن النوبى كان ينظر للعرب كعنصر دخيل عليهم يخافه لقوته ويحالفه ويتحاشاه ولكن أحفاد هذا الجيل الأول حينما يشبون مع بعض ويحدون أنفسهم مع بعض تختفى حدة هذه النظرة وبمرور السنين تتقارب الأخلاق والعادات والنفوس وهذا ما حدث ، رضى النوبة أن يسكن العرب بينهم ويسيروا فى ديارهم ويقيموا شعائرهم خوفا فى البداية .. .. وصداقة بعد مرور السنين ولكسب هؤلاء المستوطنين كان لابد من أن يتزوجوا منهم .. .. ولكنهم لا يزوجونهم بناتهم للنوبى المسيحى والإعتزازهم بعنصرهم العربى .. ..

ولكن الأجيال الجديدة التى ولدت فى الوطن الجديد ولم تعرف شيئا عن تقاليد وأخلاق الوطن العربى القديم فلم تتمسك بهذه النعرات إذا أسلم أحد النوبيين .

ويتفق هذه القبائل رويدا الى الجنوب كان اضعافاً للملكة المسيحية وللدين المسيحى .. .. وبداية لنهاية الدولة المسيحية — فى القرن الحادى عشر قامت دولة بنى كنز أشرة إلى كنز الدولة وإلى الحاكم بأمر الله على أمارة اسوان .. .. فقد أقام كنز الدولة دولته العربية عند اسوان وقويت شوكته فى حين كانت موارد الدولة النوبية تقل ليدخل العرب فى الحياة المعيشية ولكثرة عددهم فى الدولة وعدم إمكان تحصيل جزية منهم ولمشاركتهم فى التجارة — لم يرسل حاكم دنقلة الجزيه لأمير أسوان الأمر الذى قاد لاعادة تأديب هذا العاصى ولاظهار قوة العرب المسلمين من جديد فى القرن الحادى عشر .

وبقوة هذه الدولة الكنزيه كثرت القبائل العربية من ربيعة وجهينة كما ذكرنا وأصبحت درعا منيعا لهذه القبائل بأن تتجول وهى واثقة بأن خلفها أمارة لها وزن فى الأراضى المجهولة وهذه القبائل المتعددة المشاكسة .... فهى رغم ذلك تخاف القوى الذى فى استطاعته أن يبطش بها .

هذا يبين لنا كيف كان دخول العرب من جهة النيل عند النوبة بعد أن أصبحت اسوان أمارة ومركزاً تجاريا هاما فى هذه القوة جمع إليه كثافة السكان ، ففيه تجارة مصر ... وبضائع السودان وبضائع العرب .. .. فمن السودان كانت الماشية والعبيد وريش النعام والصمغ والذره والذهب والعاج والبلح .. .. ومن الشمال كانت المنسوجات وبضائع الهند والسكر والودع وما شابه ذلك مما كان ينفع الأهالى الجنوب والمناطق البعيدة التى يجلب منها سن الفيل وريش النعام والصمغ لتبادل السلع عليه .. .. وكان الذهب من

أهم هذه المواد .. وكان السودان مركزا هاما لهذه السلعة .. .. ومما ساعد تكاثر العرب ظهور تبر الذهب فى أرض المعدن ووادى العلاقى شرق إسوان .. .. وكانت هذه المناجم التى يخرج منها تراب الذهب ملكا لرؤساء القبائل البجاوية .. ولكن حاجة الإنسان للعيش وللكسب جعلت القبائل العربية تزحف نحو هذا الوادى .. .. وزحفت القبائل العربية أول زحفها الى الشرق ثم الى الجنوب وكان وادى العلاقى وأرض المعدن هو بداية هذا الزحف وكان ذلك فى القرن التاسع الميلادى .

وكثر عدد القبائل العربية بين هذه القبائل البجاوية .. .. ولاشك أنها فى البداية لم تستطف القبائل البجاوية هذه الهجرة ... وهذا ما حدث أن شنت القبائل البجاوية الغارات على هذه القبائل وعلى شواطىء النيل الأمر الذى أزعج أمير أسوان فأرسل إلى المتوكل على الله فى بغداد يشكوا أمرهم فأرسل اليهم هذا محمد بن عبدالله القمى ، واشتبك معهم وهزمهم ، ثم عقد صلحا معهم ... بعد أن قتل زعيمهم ... وأنتدب ابن أخيه ليذهب لبغداد ليطأ بلاط المتوكل على الله :

وكان هذا العقد الذى وقع فى القرن التاسع الميلادى هو جواز مرور للقبائل العربية والسماح للاسلام أن يدخل السودان من الشرق وأن تقام شعائره ولا يؤذى المسلم -- كل هذه الضمانات التى أعطيت للعرب المسلمين كانت هى أشارة دخول للعرب وللاسلام وبذلك كثر تدفق العرب من هذا الجانب حتى وصلت بمرور السنين إلى أرض البطانه عن هذا الطريق .

كانت قبيلة الحدار به (عربية أصلا) وهى من القبائل الكبيرة فى هذا الخط هى أول من عمد للصلح وأسلم بالجوار ومن هذه العلاقة أقيمت

الشعائر الاسلامية وصاهر العرب زعماء هذه القبائل ليأمنوا شرهم . . . وبهذه الوسيلة دخل العرب فى حياة هذه القبائل وتغلبوا عليهم ... وانتشر العرب عن هذا الطريق طلبا للمرعى أو بحثا عن الوحده أو المرعى الجيد أو لخلق زعامة لكل قبيله عربية بعد أن أصبحت لهم السيطرة العددية والتزاوج مع هذه القبائل البجاوية التى تشاركهم فى نفس المناخ والحياة المعيشية .

وحينما أصبح للقبائل العربية السيطرة على هذه السهول الشرقية حتى ميناء عيذاب شجع هذا الهجرة العربية لكثير من القبائل العربية من جهينة وربيعة منهم من سار حتى النيل من جانب الضفة الشرقية حتى وصل العرب إلى ملتقى النيلين وساروا غرب النيل .

أما من ناحية غرب السودان فقد كان الأمر يختلف عن الشمال .. فقد انتشرت القبائل الزنجية جنوب الصحراء الافريقية قبل ظهور الاسلام . . . عاشت حياة بدائية فى الأول ثم تطورت هذه المجموعات بسرعة أكبر من مجموعات جنوب السودان التى وقفت الطبيعة دون استقرارها أو ربما خيرات الطبيعة للمجموعات الزنجية التى لا تكلف جهدا هى التى عطلت الخلق والابداع . . . فقد وفرت الطبيعة للمجموعات الزنجية التى تسكن جنوب السودان كل الخيرات من ثمر وأمكانيات طبية وحيوان بأقل جهد . فالارض خضراء كثيفة بها شتى النباتات والأشجار المثمرة التى ساعدت تلك المجموعات على الراحة . . فالطبيعة لم تطلب منها التعب لغرس الحبوب ورعاية الحقول . . . . وقد منحتهم الطبيعة هذه الميزة ليوفر طاقته ووقته للدفاع عن نفسه من الوحوش المفترسة التى تعيش معه داخل الأشجار والحشائش والمستنقعات فلو فرضت عليه الطبيعة الواجب الطبيعى للبحث والتعب والاجتهاد فى لقمة العيش من غرس وحصاد .. الخ

لكانت مكنت الوحوش الضارية من صيده ولما وجد الوقت الكافى والطاقة لمحاربتها والهروب والاختباء منها .

أما فى غرب السودان فالأراضى سافنا تختلف اختلافا مناخياً ونباتيـــا عن منطقة الجنوب وأرض الجزيرة التى كانت فيما مضى كثيرة الأعشاب والاشجار والمستنقعات ... فالأرض فى غرب السودان رملية ... وبها بعض الجبال والوديان مما يساعد على الزراعة والرعى وبهذه الحرفة تكون المجتمع الزنجى الغربى الاول الذى أمتد جنوب الصحراء حتى النيجر والسنغال .

ولكن حال هذه للقبائل لم يستمر كما تحب فقد حدث اضراب سياسى عنيف فى الدولة الاسلامية ... سقطت دولة الأمويين بعد أن انتشرت على طول شمال أفريقيا بأنصارها وقبائلها لتظهر دولة فتيه قوية هى الدولة العباسية .

ولم يكن سقوط الدولة الاموية هو سقوط حاكم واحد أو بيت أو قبيلة أنما كان سقوط نظام تمليه عصبية واسعة حادة الأمر الذى ملأ النفوس بالحقد والكراهية لكل أنصار الفريق الآخر الأمر الذى جعل تدفق القبائل العربية المناصرة لبنى أمية هاربة إلى خلف الصحراء الافريقية أمرا مقبولا ومعقولا حتى فرضت هذه الهجرة العربية شخصيتها وكثرتها على القبائل التى تجاور الصحراء مما قاد لانتشار العنصر العربى فى وسط أفريقيا ولانتشار الاسلام بين القبائل الزنجية واختلاط القبائل بالمواطنين مما قاد لقيام دوليات إسلامية فى وسط أفريقيا فى السنغال والنيجر وبرنو وكانم ووداى ودارفور .

ومن هنا تبين لنا صوره حدود السودان الغربية التى واجهت هذه الدويلات الاسلامية العربية الزنجية التى تمتد من نهر السنغال فالنيجر وتشاد وبرنو وكانم .

وإذا عرفنا أن سقوط دولة الامويين كان فى القرن الثامن الميلادى . . . . وبدأ زحف هذه القبائل التى تطاردها العصبية القبيلة الحاكمة . . . والعداء المذهبي أن تتوغل فى أفريقيا وقد أخذت هذه القبائل وقتا طويلا لتتأقلم مع المجتمع الجديد الذى واجهته والظروف السياسية التى تحيط بها ولا شك أن موقفها السياسى فرض عليها السكون وطلب الملجأ أكثر من محاولة أثارة هذه القبائل والا أصبحوا محاصرين بعداوة الحكم العباسى من الشمال ثم الفاطمى فيما بعد وهذه القبائل الزنجية فى شمال ووسط أفريقيا . .

وحينما وصل العرب إلى هذه الأراضى لم يجدوها خرابا بل وجدوا فيها نظاما للادارة والحكم والتجارة رائجة . وطرقها سائرة بين الجنوب والشمال والشرق والغرب .

ومن هذه الدويلات القديمة قامت دولة وثنية فى غرب السودان هى دولة دار الفور أو سلطنة دارفور قبل وصول العرب من العنصر السودانى الذى استوطن وسط أفريقيا ثم مهد هذا التجمع إلى ظهور سلطنه الفور الاسلامية فيما بعد .

العرب فى السودان الشمالى بعد حكم الفاطميين :

كما جاء فى دخول العرب على غرب السودان ببداية زوال حكم الأمويين وقيام دولة العباسيين وإنشقاقها بقيام دولة الشيعة الفاطمية على شمال أفريقيا أى بقيام دولة الأدارسة فى المغرب وانتقال عاصمتهم من المهديه إلى قاهرة المعز لدين الله عام ٩٧٠ م .

أستمر حكم الأمويين على شمال أفريقيا ومصر حتى عام ٧٥٠ م حتى انتزعت مصر من يد الأمويين الذين لم يمهدوا لانصارهم من الاستيطان فى مصر بل كانت فتوحاتهم فى المغرب تتطلب أعدادا هائلة من العرب ولذلك كثر عدد العرب الأمويين ولم يستقر فى مصر إلا عدد بسيط من الجند وصلوا حتى حدود المملكه عند إسوان ليحفظوا حدود المملكة ويجبوا الضرائب من سكان تلك المنطقة ويحافظوا عل عدم غارات النوبيين عليهم

وبأنتهاء القرن العاشر الميلادى وبداية القرن الحادى عشر بدأت القبائل العربية التى كانت تقيم جوار إسوان وتحرسها فى عهد الأمويين بظهور دولة الشيعة الفاطمية من الهروب إلى الجنوب ودخول السودان بعد أن أصبح الطريق مقفولا أمامهم من الشمال زاد عليهم القبائل التى أتت إلى مصر لمناصرة العباسيين فى حكم مصر ـ وبذا نزحت إلى مصر بعد الاسلام قبائل عربية تناصر بنى أمية ثم هربت هذه القبائل للجنوب . ـ ثم جاء الشيعة إلى القاهرة إنتصارا للعلويين وانشقاقا على العباسيين الذين تنكروا لآل البيت الذين استغلوا الدعوة لهم فى جمع أعداء بنى أمية والأطاحة بهم .

وبظهور الفاطميين على مصر أصبحت مصر ولايه شيعية لا مكان للامويين والعباسيين بها . . . وبذا بدأ توقف هذه القبائل إلى داخل السودان الشمالى .. وحيث كانت القبائل النوبية المسيحية تسيطر على أرض النوبة فلا مجال لهذه القبائل الهاربة فى هذا الطريق وهى تتحاشا الاحتكاك بهذه القبائل خائفة من العدو الذى يسيطر على الشمال .

العرب على النيل

أختلف ماكمايكل ومحمد عوض محمد فى نسب الجعليين بمجموعة القبائل النيلية الميرفاب - الرباطاب - المناصير - الشايقية - الجوابرة الركابية - أختلفوا فى نسبهم إلى ابراهيم جعل بن سعد بن فضل بن عبد الله بن عباس بن عم الرسول صلى الله عليه وسلم - اختلفوا فى هذا النسب وهذا الاسم وعدد الأجيال التى جاءت بعد الرسول (صلعم) وفى القرن الذى جاء فيه إبرهيم جعل هذا حتى كون هذه المجموعة الجعلية الكبيرة .

ومن نسب ابراهيم جعل هـذا يظهر لنا نسبة إلى العباسيين . . . ويمكن أن نرجح صحة هذا النسب لحكم العباسيين لمصر فى القرن الثامن الميلادى وانسحاب العباسيين من مصر للشيعة وهروب اتباعهم للجنوب . . . ولا شك أن ابراهيم جعل هذا كانت له المكانة بالنسبة للقبائل العربية التى هاجرت إلى الجنوب وجعلت إبراهيم هذا كبيرها وزعيمها نسبة لانتماء للبيت العباسى وخضوع القبائل العربيه المحبة لآل الرسول ولاسرته وبذلك جعلته زعيما لها فى مهجرها الجديد حتى بعد أن اختلفت معه فى الطريق بحثا عن مأوى وأرض للسكن . . وبذلك جعلت أسم هذا الزعيم حيث ذهبت وجعلته أبا روحيا لها رغم

أنها لا تنتمى إليه فى الدم بل بالطاعة والولاء والمذهب السياسى . . . .

وبذلك انتشر أسم إبراهيم جعل على كل القبائل التى هاجرت وسكنت ضفاف النيل وعبرت إلى كردفان كالجموعة والجمع والبديرية والجوامعة والفديات والبطاحين فى الجزء الشمالى من البطانة .

كل هذه المجموعات انتمت إلى ابراهيم جعل العباسى الذى هرب لا شك من دولة الشيعة الفاطمية التى قامت فى المغرب واستولت على مصر فى القرن العاشر الميلادى وبذلك يمكن أن تؤرخ بداية نزوح هذه القبائل للسودان بالقرن الحادى عشر الميلادى بعد قيام دولة الكنوز فى إسوان . . .

وبأنسحاب كل القبائل التى كانت تناصر مذهب العباسيين بدأ فى القرن الثانى عشر الميلادى إستيطانها على النيل وزحفها إلى الغرب والبطانة حتى كان القرن الثالث عشر والرابع عشر حتى ملأت السهول والوديان وقوبلت بالرضا من قبائل النيل القليلة العدد التى لم تجد من هذه المجموعات مضايقه لها فى معيشتها فمساحات السودان الشاسعة ما زالت ترحب بالمزيد من كثافة السكان .

التجارية الهامة من قدم فقد نشأت قبل مملكة اليالو دولة وثنية لم تتأثر بالمسيحية التي تنتشر على الهضبه الحبشية يؤكد هذا تاريخ ارتيريا ... ويبدوا أنتشار نفوذ العرب والمسلمين على العالم وانفصال الكنيسة الحبشية جعل هذه المنطقة مفتوحة للمسلمين ونشر دعوتهم ...

ظهرت مملكة البلاد الاسلامية فى القرن الرابع عشر الميلادى لتحل محل المملكة الحبشية التى عاشت فى هذه المنطقة وهذا يؤيده وثنية الهند نوره وعدم عبادتهم لدين .

فقد واجهة هذه المنطقة اندفاعاً عربياً من ثلاث جبهات من جهة الشمال من العرب الوافدين على أرض المعدن للعمل والتعدين حتى تسربوا إلى داخل أرض البطانة والنيل ومن جهة البحر للعلاقات التجارية التى كانت رائجة بين منتجات السودان والجزيره العربية وآسيا والاثار الخزفية التى وجدت عند ميناء عيذاب أخير كشفت عن اتصال هذه المنطقة بمنتجات وصناعات آسيا والصين ... ومكانة هذه المنطقة .....

والفخار الثمين الذى وجد فى الحفريات الأخيرة كشف غناء هذه المنطقة ورواج تجارتها لان الفخار الذى وجد كان غالى الثمن من اجود أنواع الفخار الذى كان يستعمله اغنياء القوم .

فقد عرفت ميناء عيذاب منذ القدم وجاءت الكتب العربية القديمة والمؤرخين العرب وكانت ميناء تجاريا هاما .

بعلمهم إنما هي تذكير للمؤمنين بأخلاق السلف الصالح من المجاهدين وإلى توجيه الناس إلى الأشياء الضرورية الواجب إتباعها في بعض المناسبات وحيث كانت الحياة في مصر في عمل عسكري دائم فقد كانت خطبة الجمعة في جامع عمرو هي حث الناس لإطاعة خليفة المسلمين والاجتهاد لنصرته ولم تترك الظروف العسكرية والحربية التي عاشت فيها مصر للجوامع أن تؤدي رسالتها الدينية التعليمية بل أصبحت المنابر وسيلة لجمع الناس وتهدئة الخواطر والدعوة لتأييد حاكم جديد أو لمؤازرة الوالي لمحاربة الجيوش الغازية أو للتجنيد في صفوف الجيش لصد العدوان أو لتجميع مصر حدث أو للدعاية للملك الصالح المصلح المؤمن القائم على شئون البلاد .

وإذا إعتبرنا الجامع هو المدرسة الأولى التي حفظت التعاليم الاسلامية وعلوم الدين فيجدر بنا أن نتتبع هذا التاريخ ونرى ماحدث في مصر حتى يكون مايحدث فيها ذا أثر على السودان وعلى المسلمين المقيمين بها من عرب وسكان أصليين .

وأول جامع أنشاه في مصر هو المسجد الجامع أو جامع عمرو أو الجامع العتيق كما كان يسمى بهذه الاسماء في عام ٦٤١ م بعد دخول عمرو بن العاص إلى الفسطاط .. وظل هذا الجامع يخدم الاغراض السياسية للدعوة ، إذ كان العرب في حاجه لمثل هذا المنبر لتهدئة الخواطر وشرح الدعوى للناس وتنشيطهم لدخول الاسلام وحثهم على معاونة جيش المسلمين والتطوع فيه .. وقد كانت خطبة الجمعة في معظمها خطبة لمثل هذه الاغراض ولم تتح ظروف العرب المتحمسين لنشر الدعوى على كل الشعوب أن يعملوا أكثر من ذلك ، شرح الدعوى والدعوة للايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم تعليم الناس الفرائض الخمس ،

وظل الجامع العتيق يقوم بهذه الرسالة بعد عودة عمرو بن العاص وتركه مصر لأن السرح ولم تتسع رسالة هذا الجامع لأكثر من ذلك فلم تتسع بعد العلوم الدين وتدريس أحكام الشريعة الاسلامية بل ظلت هذه التعاليم تلقى فى منبر الجمعة ، ويقوم بها الأفراد المسلمون من العرب وتوصيلها إلى سكان مصر فى أكثر صورها حتى يدركزها ويهضموها : وأستمر الحال على هذا المنوال حتى جاء عهد العباسيين ، وكانت الدعوة قد إنتشرت وامن بها الكثيرون وأصبح الجامع والصلاة فيه من أول واجبات المسلم وأصبحت تعتدفيه الحلقات الصغيرة للتذاكر والتفاهم وللتحابب بين المسلمين . وأصبح يرتاده كثير من الناس فى غير أيام الجمعة لمعرفة تعاليم دينهم

ونشطت فى جامع عمرو حركة التدريس فكثرت فيه الحلقات وخاصة بعد الصلاة واهمها صلاة المغرب والعشاء ، وكانت تدور فيه المناقشات الدينية والأدبية والمطارحات الشعرية والروايات التاريخية وكل الوان المعرفة مايسر لروادة ومايشتهيه . ولم تكن حلقات تدريسه لها أسس معينة إنما كانت مواضيع الحديث تأتى من جمهرة المجتمعين وتخرج من هذه الحلقات بعض رجال الدين والفقه فى مصر الا أن هذه الحركة لم تنشط ويظهر لها ثمارها الا فى عهد العباسيين ثم الفاطميين .

ومن هذه الحلقات المشهورة حلقة الامام محمد ادريس الشافعى (١٩٨ — ٢٠٤ هـ) . . كما انتشر نوع آخر من حركات التعليم والمناظرة فى بيوت الفقهاء وأهل العلم . كانت تجذب إليهم طلبة المعرفة . ومن أشهر هذه الحلقات حلقة بنى عبد الحكم . وكان يرتاد حلقاتهم أكابر العلماء والفقهاء الذين يزورون مصر .

ثم أنشأ المعز لدين الله الجامع الازهر عام ٩٧٢ ليكون منبر الدعوة الفاطميين أول الامر، ولنشر مذهبهم الشيعي بين الناس وقد استغل الجامع الازهر كغيره من الجوامع الاسلامية (لاغراض سياسية وحربية تخص أمن الدولة) والاضطرابات الكثيرة التي شهدتها الممالك الاسلامية على طول العام لم تكن تدع للحكام وقتا لالقاء الخطب الدينية الخاصة على منابر هذه الجوامع بل كانت الاحداث المتلاحقة تدفع بخطب الجوامع إلى موضع من مواضيع تلك الظروف العصيبة والخلافات الكثيرة.

بل لم يفكر حاكم من حكام المسلمين أن يخطط لنشر التعليم ناهيك عن نشر العلوم الاخرى التي يصعب أن تقوم بدون التعليم الذي إذا أردنا أن نتطوره وأن نصل إلى أكبر عدد من محبيه أن يوفر أماكنه ومعلميه.

إلا أن ذلك لم يحدث فقد نشأ العلم في بيوت الأفراد والخاصة والمهتمين والذين أخذوا هذا النوع من الحياة هدفاً لحياتهم وغاية من غايات وجودهم وهو التزود من المعرفة ونشر هذه المعرفة.

إلى أن جاء عام ١٠٠٥ م وأنشاء الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله دار الحكمة وكانت اول مدرسة تنشأها الدولة الاسلامية لنشر العلوم والمعرفة رغم أن انشاء دار الحكمة كانت دوافعه مذهبية لنشر دعوة الشيعة التي ظهرت بعد فترة من فتح هذه البلاد وتوسعت حلقاتها وأنتظم فيها الشيعة والسنة حتى جاءت الطائفية على علماء أهل السنة وقتلوا وأصبحت دار الحكمة دار حكمة الشيعة لايجرق أي مذهب على دخولهـــا وقلت فعاليتها بعدذلك ظهـــرت عصبيتها المذهبية.

وقد كانت دار الحكمة فى بدايتها داراً عظيمة للعلم والمعرفة . تدرس علوم القرآن والفقه وعلوم اللغة والفلك والطب والرياضة والتنجيم وغيرها ووفرت لها كل الامكانيات المادية لتصبح جامعة علوم حقة . حتى أصابها عصبية المذهبية وأصبح يخافها العلماء لعدم وجود الجو العلمى الحر بها .

وإذا سألنا أنفسنا من أين جاءت تلك النهضة العلمية التى ظهرت فى عصر العباسيين والفاطميين دون أن يكون هنا لك تخطيط وأشراف من الدولة على نهضة العلم .

إلا أن الأمر بسيط غاية البساطة ... فتلك النهضة العلمية وتلك المؤلفات العظيمة فى كل فروع المعرفة التى تركها لنا الاسلاف جاءت نتيجة اجتهاد الافراد والتسابق العلمى الذى أصاب الذين كانوا يخدمون القصور . فقد كان ضمن حاشية الملوك جمهوره من العلماء التقرب للملوك وكسب رضاهم هو الاجتهاد فى المعرفة والعلوم وكانوا الملوك يقدرون المجتهدون من أهل العلم . ويجيزونهم العطايا الأمن والسكن والاحترام والتقدير .

والعلم كنوع من النشاط الانسان تحكم فيه القيم الاجتماعيـــة والخواص الانسانية فيه ، فان كان العلم هو أفضل الناس فى نظر الجميع أتجه الناس إلى العلم وكذلك الحال بالنسبة الفروسية أفضل من العلم افضل الناس الفروسية على العلم وكذلك فى جميع فروع النشاط الانسانى كالتجارة والرياضة والفنون . حيثما يصبح هذا النشاط والاجتهاد ذا فضيلة إجتماعية أعلى من النشاطات الاخرى يجذب اليه إهتمام الناس وأهتمامهم .

وبدراسة ظروف نهضة العرب العلمية نرى هنـاك كثير من النشاطات الانسانية ذات القيمة الاجتماعية المتفاوتة كالفروسية والثراء ثم كان العلم عند جمهور المتعلمين المحيطين بالقصور . وهذا هو السبب لدفع حركة العلم عندما وجد الملوك الذين يقدرون العلماء ويفضلونهم بعلمهم على غيرهم من الناس حتى أصبح العلم هو بقية الكثيرين حتى يصل لتلك المرتبة من تقدير القصور والخلفاء والامراء وأصبح الاجتهاد والتسابق العلمي هو الذي يحدد مكان العالم والمجتهد في مجلس الخليفة وقيمة الهدايا والعطايا السنوية المقررة له ..

وقد أخذت مصر في عهد الدولة الفاطمية بعد القرن الحادي عشر رسالة النهضة العلمية العربية وتوزعت هذه النهضة بين دار الحكمة التي نشطت فيها العلوم العقلية والدعوة الشيعة في حين إحتفظ الازهر بتدريس العلوم الدينية والقرآنية وكذلك جامع عمرو وأصبحت هذه القلاع الثلاثة قبس الفكر الاسلامي إلا أن هذا النشاط وهذا الرقي كان يرتبط بحياة الدولة الفاطمية التي وفرت الامكانيات لهذه النهضة العلمية رغم الاضطرابات الكثيرة التي عاشتها حتى عجزت الدولة الفاطمية عن الاستمرار في الانفاق على دار الحكمة وتعرضت في عام (٤٩٥ — ٥١٤ هـ) لاغلاقها بعد أن ظهرت عصبيتها المذهبية داخل الدار ثم اعيد فتحها مرة أخرى عام ٥١٧ هـ في عهد المأمون البطائحي وزير الآمر بأحكام الله إلا أن هذا كان ايذانا بسقوط هذه الدار وهذه الجامعة التي كان لها الفضل العظيم في حفظ العلوم الدينية وتطهير الفكر الاسلامي والثقافة العربية

وقد انتهت دار الحكمة الجامعة الاسلامية الاولى بذهاب أصحابها وانفضاض

مرة أخرى . وقد ظهر اسم اثيوبيا هنا لأول مرة وقد كان يقصد به جنوب النوبه . . . فقد كانت النوبة وأثيوبيا وبلاده تطلق على الأرض جنوب مصر .

وقد خضع السودان مرة أخرى لسلطة هذه الدولة الطيبيه ويبدو هذه المرة أن جنود هذه المملكة قد ساروا داخل السودان وكان ذلك فى عهد الملك (امنحتب الأول) الذى عرف بالحكمة والحزم وحين حانت وفاته دعى ابنه وقال له هذه الوصية :

(يابنى لقد أصبحت حاكم الأقاليم الثلاثة) الوجه البحرى ـ القبلى ـ النوبة (وهذه أول مرة تصبح النوبة جزءا لايتجزأ من المملكة الفرعونية) وقال : (فأقتد بأحسن ما كان يفعله أسلافك وحافظ على نظام الرعيه ولاتكن فى معزل عنها ولا تعجب بنفسك ولا تقتصر على مصاحبة الغنى دون الفقير . . ولا تسرع بتقريب الوافد إليك فأن ضمائره خافيه عليك) .

وفى عهده استخرج الذهب من أرض النوبة وقام بغزوات عديده لها ورجع بالكثير من الغنائم والسبايا وأخضع كذلك الزنوج خلف أراضى النوبة .

ثم جاء بعده إبنه (أوسرتيس) ثم جاء بعده امنحتب الثانى أو (سيزوستريس) الذى شاد حصونا وقلاعا فى وادى حلفا وقد وجد على بقايا هذه الحصون (هذا حد مصر الجنوبى وضع فى السنة الثامنه لحكم الملك (أوسرتس) .

الأسرة الثالثة عشر الطيبيه (٢٧٥٠ - ٢٥٦٦) ق . م :

وكذلك يبدو أن حدود مصر إمتدت ابعد من حلفا فى عهد المملكه وكذلك آثار هذه المملكة وغزواتها كانت تذهب بعيدا عن حلفا وربما كانت البراقض

اضطر الاضطهاد الدينى فى مصر المؤمنين بالمسيح بعد البطش والتنكيل ، أن هجر المؤمنين بالمسيحية المدن القرى وإعتصموا بالجبال والوديان وقد عمر وادى النطرون بمجموعة من الهاربين من هؤلاء المؤمنين . كما كان صعيد مصر ملاذا لهؤلاء النساك ، فوجدوا فى وديانه وشعاب جباله وبعده عن أعين الجند وأعداء الدين أمانا لحياتهم وللعبادة والهروب إلى حيـــاة النسك وقد كانت الواحات والصحارى أحسن الأماكن لإقامة هؤلاء النساك ومنهم الأنبا بأقوم الذى تولى الاشراف على النساك فى الصعيد عام (٢٧١م) وخط فى حياة الكنيسة القبطية مبدأ الرهبنة والعمل الجماعى . لأن الكنيسة حتى القرن الرابع الميلادى لم تولد وحياة الرهبنة لم تبدأ بعد بالصورة التى نراها اليوم . فقد عاش رجالها يناضلون ضد الظلم والتعذيب حتى خطروا لسلفهم هذا السلوك .

تحمل المسيحيون من الأقباط رسالة المسيحيـــة والاحتماء . . . بالواحات والوديان وأوجدوا فكرة الدير .

عاشت المسيحية فى مصر حتى القرن الخامس والسادس الميلادى فى صراع مرير بين الاعتراف بمـــا من الحكام وبين التفسيرات الدينية بين كنيسة الإسكندرية ورهبان وادى النطرون وكنيسة القسطنطينية وكنيسة الامبراطورية الرومانية الغربية . . . وحركة الهرطقة التى ظهرت ووقفت فيها كنيسة الاسكندرية ورهبان وادى النطرون موقفاً مشرفاً فى بث الديانة المسيحية .

... بعد الانتقال إلى تتبع حياة العرب فى السودان بعد ظهورهم فى مصر وأفريقيا يحق لنا أن نلتمس أوجه النشاط الثقافى والحضارى فى هذه الفترة وما تركته الحضارة الفرعونية والمسيحية . كما رأينا دخلت المسيحية السودان دون حرب أو فرض عليها وكان دخولها تصاحبه بعض العقبات منها اللغة القبطية واللاتينية لغة الاديرة التى جاورت الكنائس التى قامت بكثرة وبسرعة على طول النيل فى صادقا ودنقله والدبة ومروى وكورتى وشمال كريمة عند الشلال الرابع وأنتشرت المسيحية حتى وصلت عاصمة سوبا التى قامت فيها أعداداً هائلة من الكنائس الجميلة الرائعة .

دخلت الاديرة السودان وأحتلت ابنية المعابد الفرعونية القديمة وكذلك قامت بعض الكنائس على بقايا هذه الاعمدة والمبانى القديمة التى لم تعد صالحة للعبادة الفرعونية . .

وباشرت المسيحية رسالتها فى نشر الدعوة وتعليم الناس رسالة المسيحى فى الحياة إلا أن الزمن لم يمهل هذه الكنائس أكثر من قرن حتى دخلت مصر بجيوش العرب المسلمين وبذلك قطعت عليها فرصة تطورها وازدهارها كما كان فى الحبشة بل إنكمش رهبانها داخل أديرتهم ووقف تطورهم العلمى والتفاعل الناس معها بالدخول فى الدين الجديد الذى بات يناقسها فى أرضها وفقدت الكثير من العطف والمساعدات التى كانت تلقاها من المواطنين وربما فقدت بعض أراضيها التى إقتطعتها لنفسها لعبادة الرهبان وعملهم وكأملاك للكنيسة كما كان شائعاً فى ذلك العصر بأن تمتلك الكنيسة اراضيها الشاسعة وتستغل دخلها للصرف على الرهبان وأوجه تقدمها وشئونها المالية .

بعض الآثار من المخطوطات التى وجدت قريباً من المساجد التى كانت كنائس

القرن السابع الميلادي

قبل الحديث عن الأحداث الداخلية فى السودان يجب علينا أن نطل على الاحداث الخارجية خارج السودان التى كان لها أثر على تطور السودان وسنحاول فى هذا القرن تتبع النشاط الانسانى والتوسع العربى مما كان له اثر مباشر والحياة السودانية فقد اعتمدت معظم الدراسات التاريخية بتتبع الحركة العربية فى السودان وأستخدام الحوادث اليومية لدخول العرب السودان وأبعدوا هذه الاحداث اليومية عن مجرى السياسة العربية والاسلامية فى تاريخ الدولة الاموية والعباسية والفاطمية وربط هذه الاحداث وإنعكاسها على الحركة الإسلامية والتوسع العربى . لانه بدون تتبع الوضع السياسى للدولة الاسلامية فى القرن السابع الميلادى حتى القرن الخامس عشر الميلادى لانستطيع أن ندرك سبب إنتشار العرب والدوافع السياسية والعقائد والمذاهب الدينية التى كانوا يعتنقونها وأثر هذه المذاهب فى تاريخ الدولة الاسلامية ودخول العرب إلى أفريقيا الوسطى .

كان القرن السابع الميلادى هو عصر الفتوحات الاسلامية وأنتشار الدين الاسلامى فى الجزيرة العربية حتى شرق إفريقيا . وحين دخول الاسلام إلى مصر فى هذا القرن كان السودان ينعم بميلاد المسيحية وهى فى طورشبابها وأزدهارها وبدأت المحاولات العربية لاخضاع مملكة دنقلة المسيحية إلا إنها إكتفت بعقد صلح مع ملك دنقلة قيلدوروث عام ٦٥٢ م . جاء فيه إنه لايحارب المسلمون النوبة وبالعكس وأن يدخل المسلمين بلاد المسيحيين مجتازين غير مقيمين فيها وعلى النوبة حفظ من نزل بلادهم من المسلمين حتى يخرج منها ، وعليهم رد كل آبق دخل بلادهم من عبيد المسلمين وعليهم حفظ المسجد الذى إبتناه المسلمون بدنقلة وكنسه وإسراجه وتكرمته وإلا يمنعوا غنه مصليا وإن يدفعوا فى كل سنة ثلثمائة وستين رأسا من أوسط رقيقهم غير المعيب يكون ذكراً :

ثم أنشأ المعز لدين الله الجامع الازهر عام ٩٧٢ ليكون منبر الدعوة الفاطميين أول الامر، ولنشر مذهبهم الشيعي بين الناس وقد استغل الجامع الازهر كغيره من الجوامع الاسلامية (لاغراض سياسية وحربية تخص أمن الدولة) والاضطرابات الكثيرة التي شهدتها الممالك الاسلامية على طول العام لم تكن تدع للحكام وقتا لالقاء الخطب الدينية الخاصة على منابر هذه الجوامع بل كانت الاحداث المتلاحقة تدفع بخطب الجوامع إلى موضع من مواضيع تلك الظروف العصيبة والخلافات الكثيرة.

بل لم يفكر حاكم من حكام المسلمين أن يخطط لنشر التعليم ناهيك عن نشر العلوم الاخرى التي يصعب أن تقوم بدون التعليم الذي إذا أردنا أن نتطوره وأن نصل إلى أكبر عدد من محبيه أن يوفر أماكنه ومعلميه.

إلا أن ذلك لم يحدث فقد نشأ العلم في بيوت الأفراد والخاصة والمهتمين والذين أخذوا هذا النوع من الحياة هدفاً لحياتهم وغاية من غايات وجودهم وهو التزود من المعرفة ونشر هذه المعرفة.

إلى أن جاء عام ١٠٠٥ م وأنشاء الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله دار الحكمة وكانت اول مدرسة تنشأها الدولة الاسلامية لنشر العلوم والمعرفة رغم أن انشاء دار الحكمة كانت دوافعه مذهبية لنشر دعوة الشيعة التي ظهرت بعد فترة من فتح هذه البلاد وتوسعت حلقاتها وأنتظم فيها الشيعة والسنة حتى جاءت الطائفية على علماء أهل السنة وقتلوا وأصبحت دار الحكمة دار حكمة الشيعة لايجرق أي مذهب على دخولهـــا وقلت فعاليتها بعدذلك ظهـــرت عصبيتها المذهبية.

وإروقتها أمر طبيعي بعد ان قفلت كل أبواب الحرية والتقدير لرواد الفكر والمعرفة من المسلمين وانصارهم

ولو حاولنا أن نرى أثر النهضة السابقة التي قامت في عهد الخلافة العباسية في شمال الجزيرة العربية او تلك التي قامت رغم مشاكل مصر الكثيرة واثبتت وجودها رغم كل الصعاب والدماء والخلافات الجديدة الكبيرة التي كانت لاتقف لو حاولنا أن نرى انعكاس تلك النهضة على السودان حتى عام ١٥١٧ بدخول مصر تحت سلطة الدولة العثمانية ودخول الحياة الاسلامية في مرحلة لركود الذي شل كل إمكانياتها الخلاقة وجعلها فريسة لهذا الاخطبوط اللعين الذي لايقتل ضحيته مرة واحدة ولا يعطيها اسباب الحياة لتعيش .. انما يجعلها حية هكذا بلا حياة سالباً منها كل موارد الحياة الا مايجعلها تتحرك وكأنها حركة المشلول لاهو قادر على الحركة ولاهو راضي بالسكون .

كانت هذه الفترة من القرن الثامن الميلادي الى القرن السادس عشر الميلادي هي فترة الصراع بين الدماء العربية والدماء السودانية ... صراع بين العرب الذين اضطرتهم الظروف السياسية للجوء للسودان وبين أهل السودان المسيحيين والوثنيين . بين اخلاق هؤلاء العرب البدو وبين اولئك الفلاحين المقيمين على النيل ...

كانت معركة طويلة بدأت بسقوط الدولة الاموية في القرن الثامن وهروب اتباعها الى حيث لايوجد حاكم من الدولة العباسية . ثم مرة أخرى في القرن العاشر الميلادي حين سقطت دولة العباسيين في مصر امام زحف دولة الفاطميين

مقرى

(مقرى) بالضم ثم السكون وراء والف مقصوره تكتب ياء لانها رابعة من أقرت الناقة تقرى فهى مقرية والمكان مقرى اذا شبت ماء الفحل فى رحمها : قرية على مرحلة من صنعاء وبها معدن العقيق .

(مقرى) بالفتح ثم السكون وراء والف مقصورة تكتب ياء لمجيئها رابعة قرية بالشام من نواحى دمشق هكذا وجدناها مضبوطة بخط ابى الحسن على بن عبيد الكوفى المتقن الخط والضبط وكذا نقله ابن عرى فى كتابه والمحدثون واهل دمشق على ضم الميم قال البحترى

أما كان فى يوم الثنية منظر - ومستمع ينبى عن البطشة الكبرى
وعطف ابى الجيش الجواد بكره - مدافعة عن دير مروان أومقرى .

(مقرى) بضمتين وتشديد الراء - بلد بأرض النوبة افتتحه عبد الله بن سعيد ابن أبى سرح سنة ٣١

العلاقى

العلاقى حصن فى بلاد البجة فى جنوب أرض مصر به معدن التبر بينه وبين مدينة أسوان فى أرض فياحة يحتفر الانسان فيها فاز وجد فيها شيئا فجزء منه للمحتفر وجزء منه لسلطان العلاقى وهو رجل من بنى حنيفة من ربيعة وبينه وبين عيذاب ثمان رحلات .

كانم

كانم بكسر النون من بلاد البربر فى اقصى المغرب فى بلاد السودان وقيل كانم صنف من السودان وفى زماننا هذا شاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمى مشهود له بالاجادة ولم أسمع شيئا من شعره ولا عرفت إسمه قال البكرى بين زويله وبلاد كانم أربعون مرحلة وهم وراء الصحراء فى بلاد زويلة ولا يكاد أحد يصل اليهم وهم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوماً من بنى أمية صاروا اليها عند محنتهم ببنى العباس وهم زى العرب وأحوالها .

. . .

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحه
خريطة وادى النيل	
تقديم جماعه بحث التاريخ السودانى	
كلمة المؤلف	
السودان	١٢
أصل سكان السودان	١٣
نظره على المجتمع الأول	١٥
تطور المجتمع الزراعى الأول	٢٨
مجموعات السهل	٣٤
الحضاره قبل القرن الثالث الميلادى	٣٩
تطور الفنون ونشأتها فى السودان	٥٠
الآلهه عند الفرس	٧٢
المقابر الملكيه بجهتى بلانه وقسطل	٧٣
موائد وقرابين من العهد المروى	٧٩
حضارة السودان الفرعونيه	٨٠
دولة نباتا	١٠٨
نبذه عن ملوك السودان العظام	١١٣
دولة أكسوم المسيحية فى الجانب الشرق من السودان	١١٩

الموضوع	الصفحه
السودان بين الركود والعزله بعد القرن الثالث الميلادى	١٢٣
عادات أهل مصر فى العصر الفرعونى	١٣٣
الكنيسه وماقدمته للحضارة فى السودان	١٤٥
المسيحيه فى السودان	١٥١
القرن السابع الميلادى	١٦١
نشاط الحركة الثقافية فى العصور الاولى للاسلام	١٦٤
تخطيط العرب لنشر الثقافه والفكر العربى	١٦٧
دخول العرب والاسلام السودان	١٧٢
النوبه	١٨٦
العرب فى السودان الشمالى بعد حكم الفاطميين	١٩٥
سكان غرب السودان ودخول العرب	١٩٨
العرب فى شرق السودان	٢١٣

الموضوع	الصفحة
الظروف الخارجيه التى ساعدت على ركود السودان	٢٢٧
الفاطميون فى مصر	٢٣٢
أثر الثقافه العربية فى السودان حتى القرن السادس عشر الميلادى	٢٤٠
السلطنة السنارية	٢٥٣
عماره دونقس	٢٦٦
تطور الثقافة العربية فى عهد السلطنة السنارية	٢٧١
الحركه الثقافية قبل وبعد السلطنة السنارية	٢٨٨
الصوفية والديانات الافريقية	٢٩٥
نشأة الصوفية فى الاسلام	٣١٤
الصوفية الاوائل	٣٢٠
وجه التشابه بين الصوفية والرهبانية	٣٢٥
الشعر	٣٢٨
تاريخ الشعر العربى فى السودان	٣٢٩
وقفه مع الثقافة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادى	٣٥٦
رفاعه رافع الطهطاوى فى السودان	٣٦٤
القرن التاسع عشر الميلادى	٣٧٤
الحكم التركى فى السودان	٣٨٤
معجم البلدان	٣٩٣